المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

مركز ابن البنّا المراكشي
للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم
في الحضارة الإسلامية

تاريخ العلوم في الإسلام

بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى
التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء
بأكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

أيام 9 ـ 10 ـ 11 ربيع الأول 1430 هـ
الموافق 24 ـ 25 ـ 26 فبراير 2010 م

المجلد الأول

مركز ابن البنّا المراكشي
للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم
في الحضارة الإسلامية
Copyright©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر:

مركز ابن البنّا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية

شارع مدغشقر، رقم 5، حي المحيط- الرباط

البريد الإلكتروني: albanna.arrabita@gmail.com

هاتف: 05.37.70.57.49 (00212)

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا.

خضع هذا الكتاب قبل نشره إلى التحكيم والمراجعة

الكتاب: تاريخ العلوم في الإسلام

المؤلف: بحوث ندوة علمية (مجموعة من الأساتذة)

تنسيق: الدكتور إدريس نغش الجابري

الإخراج الفني: ابتسام بنيوسف

خطوط الغلاف: بلعيد حميدي

عدد النسخ: 1000

الطبعة الأولى: 1435هـ-2014م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي المركز

الإيداع القانوني: 0946 MO 2014

ردمك: 978-9954-619-04-9

الطبع والتوزيع: دار الأمان للنشر والتوزيع - الرباط

تطلب منشوراتنا من:

المغرب

- وحدة النشر والتوزيع وتنظيم المعارض
الرابطة المحمدية للعلماء، شارع لعلو، لوداية الرباط.
☎ وفاكس: 05.37.70.15.85 البريد الإلكتروني:
manchoratarrabita@gmail.com
- المعرض الدائم لإصدارات الرابطة المحمدية للعلماء
شارع فيكتور هيكو رقم 53 مكرر، الأحباس، الدار البيضاء.
☎: 0522.44.86.57 فاكس: 522.54.20.51(00212)
البريد الإلكتروني: manchoratarrabita@gmail.com
- دار الأمان للنشر والتوزيع، رقم 4، ساحة المامونية - الرباط.
البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma
☎وفاكس: 537200055/ 537723276(00212)

خارج المغرب

- لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.
ص.ب:14/6366، ☎ وفاكس: 701974/ 300227(009611)
- مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة
19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد - مدينة نصر.
☎ وفاكس: 274.17.50/ 274.15.78 (00202)
- المملكة العربية السعودية: مكتبة التدمرية، الرياض.
ص.ب 26173 الرمز البريدي 11486
☎ وفاكس: 4924706(00966) /4937130(00966)
- الجزائر: مكتبة عالم المعرفة، حي الصومام، عمارة المحل 07، باب الزوار.17
☎: 21.244.537(00213)

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

مركز ابن البنّا المراكشي
للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم
في الحضارة الإسلامية

تاريخ العلوم في الإسلام

بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى
التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء
بأكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط
أيام 9 ـ 10 ـ 11 ربيع الأول 1430 هـ
الموافق 24 ـ 25 ـ 26 فبراير 2010 م

المجلد الأول

أثر الاسهام الإسلامي في علوم الطب فى أوروبا
كتاب القانون في الطب لابن سينا نموذجاً

أ. د. ماهر عبد القادر محمد على
أستاذ تاريخ وفلسفة العلوم ـ جامعة الإسكندرية

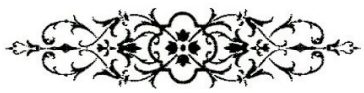

مقدمة

تأتى هذه الدراسة لتتناول أثر كتاب القانون في الطب لابن سينا، أمير الأطباء، والترجمات المختلفة التي عملت لهذا الكتاب في أوروبا. وقد آثرت أن يكون هذا البحث عن ابن سينا وأهميته في الفكر الأوروبى والعربى الإسلامي بمناسبة مرور ألف عام هجرى على وفاته (428هـ)، ولنبرز في الوقت ذاته قيمة العلم العربى وقيمة العلماء، وقيمة إسهاماتهم وإبداعاتهم الفكرية التي أضاءت الطريق للبشرية قروناً طويلة، والتي من خلالها نهضت أوروبا من كبوتها واستلمت الراية، ليدخل العلم في حلقة جديدة من حلقات تطوره الفكرى والحضارى.

لم ينل كتاب القانون في الطب في الشرق أى اهتمام من جانب الباحثين العرب، سوى في الاقتباس منه، بضع فقرات من هنا أو هناك، أو حتى النقل عن الآخرين، أو عمل الشروحات والملخصات، ولم يفكر أي باحث عربى على امتداد سنوات طويلة في تناول الكتاب بالتحقيق العلمي، (الأمر الذي جعلنى أعكف على تحقيقه منذ سنوات إلى أن انتهيت من تحقيقه بعون الله في العام 2008 وانتهى الآن من إعداد فهارسه)، وهى مسألة تدعو إلى النظر والدهشة، خاصة وأن كتاب القانون في الطب

وهو أكبر سفر طبى في العصور الوسطى زود الأطباء، في الشرق والغرب على السواء، بزاد معرفى وعلاجى وجراحى وتشريحي لم يتوافر لعالم أو طبيب من قبل. ومع هذا اتجه أغلب الذين عرفوا ابن سينا في الشرق إلى دراسة إسهاماته الفلسفية والمنطقية وأهملوا الجانب العلمي عنده، بل ولم يعيروه الانتباه والاهتمام الكافيين، على عكس ما فعله الغرب الوسيط والحديث الذي أولى الجانب العلمي عند ابن سينا، والمتمثل في كتاب القانون في الطب، أهمية كبيرة، وهذه مسألة تدعو للتوقف والعجب.

لننظر في كتاب القانون في الطب ونحاول أن نقترب من المنظومة التي حكمت حركة كتاب القانون في أوروبا، منذ ترجمته الأولى إلى اللاتينية، لنتعرف من خلال هذه الحركة على قيمة الاهتمام العلمي بتراثنا، أو بمعنى أدق بتراثنا الفاعل، الذي كان نبراساً للغرب، ولم نتمكن نحن من توظيفه والاستفادة من جوانبه المضيئة، الأمر الذي أدى إلى تلك الكبوة التي نلاحظها والتي عرضت لأمتنا الإسلامية، والتي يمكن تجاوزها حتماً، إذا توافرت الإرادة لذلك ونضج الوعى.

ترجم كتاب القانون في الطب إلى اللاتينية والعديد من اللغات الأجنبية الأخرى، وأثر في الفكر العلمي الأوروبى بصورة قوية وكان من نتيجة هذا التأثير أن انطلقت أوروبا في مجال علم الطب بخطوات واسعة إلى آفاق التطور العلمي والنهضة العلمية. وعلى الجانب الآخر لم تكن الاستفادة العربية الإسلامية، كما أشرت، من كتاب القانون في الطب على مستوى الفعل الأوروبى. وربما جاز لنا القول أن فعل الاستفادة من كتاب القانون لابن سينا في أوساط العرب والمسلمين عامة وقف عند مستوى الشروح التي عملت على بعض أجزائه. ومن ثم لم تتجاوز المسألة نطاق الشروح إلى التطبيق العملي والإكلينيكى في الفترات التي تلت عصر ابن سينا: نعم كانت هناك شروح أوروبية لكتاب القانون في الطب لابن سينا، على ما سوف نبين ذلك، لكن الفعل الأوروبى سرعان ما تجاوز مسألة الشروح إلى الجوانب الإكلينيكية والسريرية، مما أدى إلى إحداث نقلة نوعية في الطب في أوروبا في نهاية العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث.

وعلى هذا إذا كان كتاب القانون من الكتابات الطبية المهمة التي أثرت بصورة كبيرة في أوروبا فترة العصور الوسطى، لكونه جمع المعارف الطبية في عصره، فإن هذا يفسر لنا سبب شهرته غير العادية في كل أوروبا، نظراً لما امتاز به من التنظيم، وحسن التبويب، ورقي المنهج العلمي الذي اعتمد عليه ابن سينا، وبصفة خاصة أن هذا المنهج يجمع في متنه بحوث القدماء التي أجراها الأطباء الذين سبقوا ابن سينا، فضلاً عن الابتكارات التي أحدثها ابن سينا والتي أتت على الطب في عصره، وهو ما جعل المستشرق الألمانى طبيب العيون ماكس مايرهوف يذهب إلى أن أهمية هذا الكتاب تتضح من شدة الطلب عليه، الأمر الذي جعل طبعاته متتالية، وكذا ترجماته التي استمرت حتى القرن السادس عشر وما بعده. وهذه بلا شك مسألة جديرة باحترام العقل الإسلامي في تجلياته وإبداعاته.

وتأسيساً على ذلك فإنه إذا كان كتاب القانون في الطب لابن سينا قد لعب دوراً بارزاً في نهضة العقل الأوروبي في مجال الطب، فإن هذا يجعلنا نحاول أن نتتبع حركة الكتاب في ترجماته وشروحاته المختلفة داخل أروقة الفكر العلمي الأوروبى، لنرى كيف كان هذا الجزء من ثقافتنا العربية الفاعلة مؤثراً في العقل الأوروبى.

ابن سينا: حياته ومولده

هو أبو علي الحسين بن سينا، ولد في أفشنة قرب خرميثن وهي إحدى قرى بخارى التابعة لأوزباكستان، والواقعة على طريق الحرير، مركز التجارة والثقافة والعلم والدين، وتوفي في همذان إحدى مدن إيران، عاش بين سنتي 370/ 428 هجرية، (980/ 1036 ميلادية) «وكان معاصراً للبيروني وابن الهيثم»[1]. وعلى نفس المعنى

(1) على عبد الله الدفاع، أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط9، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1087، (ص 138).

يؤكد آخرون أن مولد ابن سنا Avicenna كان في 371هـ/ 980 م ؛ بل ويضيف بعضهم أنه نعت من قبل المؤرخين مجموعة من الألقاب منها «الشيخ الرئيس، المعلم الثالث، جالينوس العرب، أمير الأطباء، فيلسوف الطب»[1]. أما الزركلي فيختلف عن هذه الآراء في سنة المولد هجرياً إذ يرى أنها كانت سنة 370 هـ أي 980 ميلادية، ثم لا يختلف في صفاته وألقابه عن المؤرخين الآخرين، فيقول «الرئيس ابن سينا «370- 428 هـ/ 980هـ- 1037 م» هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بُخارى. نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتواري. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق ومات بها»[2].

إن الوقوف أمام سنة مولده-وخاصة أن مساحات الاختلاف لسيت كبيرة- لا يجب أن ينزلنا منزل البحث الدقيق حول تقصي سنة مولده بدقة، ذلك لأن الأبعاد النظرية والعلمية في حياة الفيلسوف تظل هي السمة الأهم في بحثنا ودراستنا له. وهذا الأمر هو ما يبرر لنا تصدر ملامح وسمات ابن سينا الحديث، قبل الخوض في غمار المنظور الفكري والإنتاج العلمي.

يصف أحد مؤرخي علم الطب والصيدلة عند العرب ابن سينا بقوله:»شخصية فذة وعبقرية نادرة قلَّ أن يجود عنها الزمن، لذلك فقد تنازع على أصله الإيرانيون والترك والعرب والروس، لأن مولده وحياته وثقافته موزعة بين هذه الشعوب». ولهذا

(1) صلاح الدين أبو الرب، الطب والصيدلة عبر العصور، الأهلية للنشر والتوزيع،1991، (ص112).
(2) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط16،2005، (2/ 241).

أقيم له مهرجانان بمناسبة مرور ألف سنة (هجرية) على ولادته: الأول في بغداد سنة 1952م، والثاني في طهران سنة 1954»[1]. ولا يعكس لنا هذا التنازع من معنى سوى إبراز الأهمية العلمية لابن سينا، وأنه ابن للثقافة الإسلامية التي تصدت المشهد العلمي والثقافي والحضاري في ذلك العصر. وهو ما يؤكده الدكتور الفندي من خلال تناوله بالتحليل لأسباب تسميته بالشيخ الرئيس، حيث يرى أن «هذه الشهرة ترجع إلى عصره نفسه، لأنه هكذا نجد تلميذه الجوزجاني يلقبه فيقول «الشيخ الرئيس»، ويرى الجميع أنه لقب بذلك اللقب لعلو كعبه في العلوم كلها وخاصة الطب. وليس هذا الرأي بمستنكر، لولا أن غير ابن سينا ممن عاصروه قد لقب بهذا اللقب أيضاً من غير أن يكون له في العلوم والطب شهرة، بل من غير أن تكون له خبرة، وذلك مثل أبي الحسن سهل بن محمد السهلي، وهو ممن اتصل بهم ابن سينا وقدم إليهم بعض آثاره العلمية المهمة، فقد كان يلقب بالرئيس» ولذلك فإنا نرجح أن الرئيس لقب من الألقاب السياسية كان يلقب به الوزراء تمييزاً لهم وتعظيماً. ولذلك فقد لقب به ابن السهل كما يلقب به ابن سينا لأنهما كانا وزيرين ويظهر أيضاً أن فيلسوفنا كان يلقب «بشرف الملك»[2].

ومن هذا التقرير الذي أورده الفندي نستطيع أن نجمل القول بأن أشهر الألقاب التي عرف بها ابن سينا إنما كان لأسباب ومنطلقات سياسية وليست علمية، فإن كان ذلك يعني شيئا فإنه يعني أن قدراته ومكانته العلمية والفلسفية كانت عالية. هذا عن لقبه الأشهر، أعني الشيخ الرئيس. ولكن ماذا عن ألقابه الأخرى؟

---

(1) امجد هندى، دور العرب في تقدم علوم الطب، دار سعاد الصباح، 1997، (ص 74)!

(2) محمد ثابت الفندى، الشيخ الرئيس ابن سينا، تقديم وتعليق ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، 2002، (ص25).

يقول ديفيد يوجين سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات المجلد الأول: «أن ابن سينا الذي عرف عند الأوروبيين باسم Avicenna... قد أُعْطِي ألقابا كثيرة... ومن أهم ما لقب به أمير الأطباء أجمعين. ويقول فيلدنج هـ. فاريسون في كتابه: «المقدمة في تاريخ الطب»: يكنى ابن سينا بأمير الأطباء بالمعمورة،... كما صنف أكثر من مئتي مصنف في الفروع المختلفة، ومع شديد الأسف أن معظم إنتاجه العلمي هلك، ولم يبق منه إلا الشذرات القليلة. لقد اشتهر ابن سينا في علم علوم الأرض، فكان يدعى بأبي الجيولوجيا»[1]. تلك المكانة العلمية السامية التي كانت لابن سينا الفيلسوف والعالم هي ما جعلت بعض المؤرخين يؤكدون على أن ريادته ومنزلته العلمية الرفيعة تمنحه لقب «المعلم الثالث لأنه تاريخياً جاء بعد أرسطو والفارابي. ومن ألقابه أيضاً أمير الأطباء أجمعين لمكانته الرائدة بين الأطباء الذين عاصروه والذين سبقوه»[2].

هكذا تتبلور لدينا عدة ألقاب حاز عليها ابن سينا، فهو الشيخ الرئيس، وأمير الأطباء والمعلم الثالث، وأعظم علماء المسلمين... الخ. ونكاد لا نعرف من علماء المسلمين من امتلك تلك الألقاب وحاز على ذلك الإجماع من قبل المؤرخين بمثل ما نال ابن سينا. هذا عن اسمه ومولده وألقابه، فماذا عن سيرة حياته وتطوره الفكري؟

ويعتبر كتاب القانون في الطب من أهم كتابات ابن سينا العلمية على المستويين الإسلامي والعالمي، ومن ثم نال هذا الكتاب مكانة علمية وتاريخية رفيعة عند الغرب، وطالته الأيدى بالدراسة والفهم والشرح والتحليل، وقد جاء صدور القانون في الطب في وقت بلغ علم الطب عند العلماء المسلمين منزلة كبيرة في مضمار العلوم والصناعات الأخرى – خاصة وأن الأطباء الذين برعوا في صناعة الطب في ربوع الدولة

---

(1) الدفاع، المرجع السابق، (ص 139-140).

(2) الفاضل العبيد عمر، الطب الإسلامي عبر القرون، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، 1989، (ص 381).

الإسلامية، كانوا من المسلمين والنصارى والسريان واليهود والصابئة على السواء ولم يشعر أحدهم بالشعوبية، أو العنصرية، أو تأثير الديانة على ولائه للأمة الإسلامية – فقد كان من الطبيعي أن يبرز في هذا الميدان الأطباء الذين قدموا نظريات وآراء علمية، بنيت على الخبرة السريرية الواقعية، وهذه النظريات أفادت الشرق واستثمرها الغرب بصورة فاعلة، وتطورت في أنساقه العلمية التي أبدعها في عصر النهضة، وإبان مرحلة التنوير العلمي التي شهدتها أوروبا مما أحدث أثراً مهمًا في العلم، وترك بصماته على جبين البشرية.

لقد برع علماء المسلمين بشكل كبير ومؤثر في علم الطب، وقد عظم تأثيرهم في الأوساط اللاتينية في عصر النهضة كما قلنا. وقد امتد التأثير من مرحلة الترجمة إلى مرحلة الإبداع عبر مرحلة التأسيس: ومن أهم رواد الطب العربي في فترتي الترجمة والتأسيس الطبيب والمترجم العربي حنين بن إسحاق الذي أرسى دعائم مدرسة علمية في الترجمة والطب معاً، وأبو بكر الرازي الذي اعتبر طبيباً سريرياً لا يبارى، وهو صاحب أكبر موسوعة طبية، قبل ابن سينا، عرفت منذ العصور الوسطى والمتمثلة في كتاب الحاوي. ولا يقل عن هذا أثراً أبو القاسم الزهراوي رائد علم الجراحة والذي طبقت شهرته الآفاق أو ابن النفيس[1] الذي امتد تأثيره إلى الغرب بلا حدود، وغيرهم كُثر. إن إسهامات هؤلاء ونظرياتهم العلمية تحتاج من الباحث أن يفرد صفحات وصفحات لكشف النقاب عما أضافته بحوثهم من ناتج معرفي ومنهجي للبشرية، قبل أن تصحو أوروبا من غفوتها.

كان ابن سينا ظاهرة فريدة في عصره، وكان معاصروه أيضا متفردين في إبداعاتهم الطبية.

---

(1) راجع في ذلك: ماهر عبد القادر محمد، مقدمة في تاريخ الطب العربي.

يتصدر عصر ابن سينا علمين مهمين هما علي بن العباس، والزهراوي. أما علي بن العباس من مسلمي فارس (380هـ/ 994 م) وصاحب كتاب كامل الصناعة أو الكتاب الملكي. فإن ماكس مايرهوف يذكر أن «علي بن عباس المعروف في العالم اللاتينى باسم هالي أباس Haly Abbas (+994 م) ألف موسوعة ممتازة متقنة سماها كامل الصناعة الطبية وعرفت عند اللاتين باسم الكتاب الملكي[1] Liber Regius يعالج شؤون الطب العملية والنظرية معاً، ويبتدىء بفصل من أطرف الفصول وأجلها، يتضمن نقداً بسيطاً للرسائل الطبية والعربية واليونانية السابقة»[2]. ويذهب يوجين مايرز[3] إلى أن اصطفن الأنطاكى (وهو من أصل إيطالى) ترجم هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية عام 1128 م، وربما تكون هي المرة الثانية التي ترجم فيها الكتاب الملكي، لأنه قد ترجم إلى اللاتينية مرتين، والمعروف أن الذي ترجمه في المرة الأولى هو قسطنطين الافريقي[4] (1020-1087م) وقد أشار الدكتور محمد كامل حسين إلى أن كتاب على بن عباس المعروف باسم «كامل الصناعة» كان أول كتاب

---

(1) Matthew,D., The Norman Kingdom of Sicily, Cambridge University Press,1996, (p.116).

(2) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، مقال ضمن تراث الإسلام، تأليف: جمهرة من المستشرقين، بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق على حواشيه، جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1987، (ص 471).

(3) يوجين أ. مايرز، الفكر العربي والعالم الغربي: ترجمة المؤلفات إلى اللغات الأوروبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، (ص 99).

(4) Campbell, D., Arabian Medicine and Its Infleunce on The Middle Ages. Philo Press, Amsterdam, 1926, (p.123).

وأيضا:

Burnett, C., The Introduction of Arabic Learning into England, The British Library, London, 1997, (p. 23).

عربي كبير ترجم إلى اللاتينية[1]، وأن هذا الكتاب، بالإضافة إلى كتاب القانون وكتاب الحاوي، لقى عناية فائقة وظلت ترجمته تدرس بالجامعات الأوروبية حتى أواسط القرن السادس عشر على الأقل[2]، ولهذا يعتبر كتاب «كامل الصناعة» المعروف بالكتاب الملكي من الكتب التي يبدأ بها عهد الطب في أوروبا[3]. وقد وصفه القفطى بأنه «كتاب جليل وكناش نبيل اشتمل على علم الطب وعمله حسن الترتيب، مال الناس إليه في وقته ولزموا درسه إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا فمالوا إليه وتركوا الملكي بعض الترك. والملكي في العمل أبلغ والقانون في العلم أثبت»[4] ويذكر الدكتور عبد الحليم منتصر[5] في تعليقه على هذا المؤلف قوله: والمقالتان الأولى والثانية قاصرتان على فصول في التشريح كانت المرجع الرئيسى لعلم التشريح في سالرنو بإيطاليا وفى غيرها في المدة من عام 1070-1170م. ويذكر شيبرجز H. Schipperges أن كتاب «كامل الصناعة» لعلي بن عباس المجوسى «يتضمن عرضا هو الغاية في التنظيم والتنسيق، ويفوق هذا الكتاب كتاب الرازي في التنظيم وفي اتساع نطاق الموضوع. وعرض علي بن عباس هذا للتشريح يسبقه ما خص به ابن سينا الموضوع في كتابه القانون»[6]. ومن المعروف أن هذا الكتاب تضمن نقداً شديداً لجالينوس والأطباء المتقدمين عليه، ذلك أن «كتب بقراط

---

(1) محمد كامل حسين، في الطب والاقرباذين مقال في أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، (ص282).

(2) المرجع السابق، (ص 292).

(3) المرجع السابق، (ص 289).
راجع أيضا: زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط9، دار الآفاق الجديدة، 1991، (ص276).

(4) ابن القفطى، تاريخ الحكماء، (ص 156).

(5) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم، (ص 129).

(6) فؤاد سيزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، (984).

مختصرة جداً إلى درجة الغموض، وإن كتب جالينوس على عكس ذلك، فهي مصابة بالإسهاب والإطناب ومليئة بالتكرار. وفي كتب المتأخرين من الإغريق مثل أريباسيوس وبولس، نواقص وخلل. أما كتب الرازي أكبر أطباء عصره فلم يتجنب التكرار في كتابه الحاوي. وهذا الكتاب موجه إلى الطب العملي عامة، وهو عبارة عن تجميع، كثيراً ما يُفقد فيه الانسجام»[1]. على أن أهم ما يجب أن نتنبه إليه هنا يكمن في أن الحركة النقدية بدأت مبكراً في مجال علم الطب. كما أن النقد هنا أسس بطبيعة الحال على الخبرة والمعرفة العلمية معا، أي على الممارسة والعلم، وهذه مسألة مهمة بالنسبة لتقاليد علم الطب. عرف الكتاب الملكي إذن في الغرب بصورة واسعة من خلال الترجمة اللاتينية[2]، وشكل نقطة مهمة من نقاط التحول المعرفي في فهم الغرب لعلم الطب. وقد تكامل مع هذا انتقال كتاب التصريف للزهراوي إلى أوروبا من خلال ترجمة الكريمونى للمقالة الثلاثين من كتاب التصريف.

وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (404هـ) صاحب كتاب التصريف معاصر لابن سينا. ومن المعروف أن الزهراوي أحدث ثورة علمية لها قيمتها في مجال علم الطب بتوسعه في استخدام وابتكار الآلات والأدوات المستخدمة في العمليات الجراحية، فضلاً عن إعماله للمنهج العلمي التجريبي بكل أبعاده. ولست أريد أن أفصل في هذا الجانب بصورة كبيرة، ويمكن الرجوع إلى بحثنا علوم المسلمين في ديار الغرب، وبحثنا المنهج العلمي عند الزهراوي. لمعرفة المزيد عن الزهراوي ومنهجه وأهميته وأثره العلمي[3].

---

(1) المرجع السابق، (ص 41).

(2) Lemay, R., Gerared of Cremona., Dictionary of Scientific Biography, Vol.15, Supplement I, (pp.173- 192).

(3) Mc Vaugh, M., History of Medicine in Dictionary of Middle Ages, Charles Scribners Sons, New York, 1980, vol.8, (p. 250).

لننظر في كتاب القانون في الطب ونحاول أن نقترب من المنظومة التي حكمت حركة كتاب القانون في أوروبا، منذ ترجمته الأولى إلى اللاتينية، لنتعرف من خلال هذه الحركة على قيمة الاهتمام العلمي بتراثنا، أو بمعنى أدق بتراثنا الفاعل، الذي كان نبراساً للغرب، ولم نتمكن نحن من توظيفه والاستفادة من جوانبه المضيئة، الأمر الذي أدى إلى تلك الكبوة التي نلاحظها والتي عرضت لأمتنا الإسلامية، والتي يمكن تجاوزها حتماً.

كتاب القانون

يتألف كتاب القانون في الطب لابن سينا من خمسة كتب، يقول ابن سينا أنه يقسمها على النحو التالى:

الكتاب الأول: في الأمور الكلية في علم الطب وتشريح الأعضاء المفردة البسيطة. ويقسم هذا الكتاب إلى فنون وتعاليم وجمل وفصول.

الكتاب الثانى: في الأدوية المفردة، وفيه يشرح القوانين التي يجب أن تعرف من أمر الطب. ويقسم هذا الكتاب إلى جمل ومقالات وأقسام وفصول.

الكتاب الثالث: في الأمراض الواقعة بأعضاء الإنسان عضواً عضواً من الرأس إلى القدم ظاهرها وباطنها (وتشريح الأعضاء المركبة كافة). ويقسم هذا الكتاب إلى فنون ومقالات وفصول.

الكتاب الرابع: في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو. ويقسم هذا الكتاب إلى فنون ومقالات وفصول.

الكتاب الخامس: في تركيب الأدوية وهو الأقراباذين. ويقسم هذا الكتاب إلى مقالة علمية وجملتان.

الترجمات الغربية لكتاب القانون: طليطلة وجواز المرور إلى الثقافة الغربية

نحن نعرف أن طليطلة لعبت دوراً مهماً في انتقال التراث العلمي العربي، والثقافة العربية عموما، إلى أوروبا التي كانت عطشى للعلم، ونعرف أيضاً أن الترجمة اللاتينية الأولى لكتاب «القانون في الطب» لابن سينا والتي عملها جيرار الكريموني(1114-1187م) حصلت في طليطلة، التي أمضى فيها معظم سِنيّ النضج في حياته، وفيها أيضا تعلم اللغة العربية ونقل ذخائر العلم العربي الإسلامي، منتقياً ومدققاً في كل ما اختاره من أصول نقلها إلى اللغة اللاتينية التي كان يفهمها أهل أوروبا في زمانه، والتي عُدّت الرابط المعرفي الأول بين الأوروبيين الذين كثيراً ما تنازعوا واختلفوا على الضيع والبقاع. ولكن لماذا طليطلة بالذات؟ وهل كانت هناك سمات ومميزات تمتعت بها هذه المدينة، العاصمة العلمية، أو القصبة التي قصدها العلماء والكتاب في فترة العصور الوسطى؟

ليست الإجابة على سؤالنا عسيرة، لأنه بعد العام 1086 الميلادي، وبصفة خاصة بعد معركة الزلاقة التي أبيد فيها جيش الادفونس عن بكرة أبيه، تحولت مدينة طليطلة إلى مركز إشعاع فكري وعلمي، عربي وإسلامي، في قلب أوروبا، وأصبحت قبلة العلماء والمفكرين والمثقفين، وتبلور من خلالها أهم معبر من معابر العلوم الإسلامية إلى الغرب، ومن ثم قصدها الداني والقاصي لينال شرف السبق للتعرف على الإسلام في بنيان حضاري جديد لأوروبا بأسرها. وكان هذا التحول من جانب الأوروبيين المسيحيين دلالة وعلامة مؤذنة على أن طليطلة أصبحت أهم المقاصد العلمية لدي الغرب، وبذلك احتلت المكانة التي كانت لمدينة قرطبة عاصمة الخلافة الأموية السابقة والتي كانت أكبر مركز علمي في الأندلس.

ولما كانت طليطلة قد أصبحت مقصد الأوروبيين الذين أرادوا أن ينهلوا من علمها، فإن هذا لم يكن إلا لأن طليطلة امتازت بمكتباتها الكبيرة الشهيرة، وبما احتوته

من كتب عربية مهمة في شتى العلوم، كانت الشغل الشاغل لأمرائها وملوكها لزمن طويل، وبصفة خاصة الأمراء الذين اجتهدوا في جمع الكتب والمخطوطات العربية من المدن الأندلسية لتزدان بها طليطلة.

وليس أدل على هذا من أن مكتبة الحكم المستنصر (961-976م) وهي مكتبة مشهورة في قرطبة ضمت بين جنباتها ما يزيد على 400000 أربعمائة ألف مخطوطة، في مختلف العلوم، انتقل قسم كبير منها إلى طليطلة بعد أن غابت شمس الخلافة عن قرطبة، وبعد أن دُمرت مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر (+961م)، هذا من جانب.

كما أصبح بإمكان مدينة طليطلة بعد الزخم العلمي الذي شهدته، أن تُشكل المستودع العلمي الأساسي لذخائر العلوم العربية التي أغنت بها الغرب المسيحي، وهذه ميزة لمسها العلماء والتراجمة الذين قصدوا طليطلة قادمين من بلدان أوروبية مختلفة، ولم يكن لها مثيل في أوروبا كلها، هذا من جانب آخر.

ومن جانب ثالث أصبحت طليطلة في خضم الموجات الأوروبية العاتية التي أرادت أن تنال من بلدان العالم الإسلامي واحدة بعد الأخرى فيما عرف بالحملات الصليبية، نقول أصبحت طليطلة تمثل بعداً نفسياً وعلمياً جديداً إذ جمعت في تعايش سلمي مطلق ثلاثة شعوب: المسيحي والمسلم واليهودي. وهذا يذكرنا بأيام الخليفة المأمون في عاصمة المسلمين بغداد، حيث شكل العمل التنظيمي الإدارى والأكاديمى لبيت الحكمة[1] نقطة تحول مهمة في التفاهم بين الديانات، والتعايش بين الشعوب في سلام ووئام.

لقد بدأت الرموز العلمية والدينية الأوروبية المسيحية توجه أنظار الأوروبيين من الطامحين إلى المجد العلمي، إلى دراسة اللغة العربية وإتقانها ومعرفة أسرارها حتى

---

(1) ماهر عبد القادر محمد، حنين بن اسحق: العصر الذهبى للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1987.

يمكن فهم ما تحتويه المخطوطات العربية، ومن ثم أشرقت على طليطلة حقبة زمنية لها أهميتها ودلالتها التاريخية وكان من أقوى الدلالات في تلك الفترة أن رئيس أساقفة المدينة ريموند (1126/ 1152م) شجع الأوروبيين على دراسة اللغة العربية ومعرفة آدابها بقوة والاستفادة منها، ثم صار الأساقفة الذين جاءوا بعده على دربه، واتبعوا إرشاداته[1]. فمن طليطلة خرجت الثقافة العربية الإسلامية إلى العالم الغربي؛ إذ أن قدر طليطلة أنها كانت أول مدينة إسلامية في إسبانيا تسقط عام 1085م أمام جحافل النصارى في بداية حروب الاسترداد. أقبل على طليطلة الطامحون والمغامرون من شتى بلدان أوروبا ينهلون من علومها العربية، وكلهم عطشى إلى العلم، فنقلوا وترجموا بالعديد من اللغات، وتكونت حلقات علمية كانت الترجمة مهمتها الأولى.

ويدلل سير توماس ارنولد على المكانة التي احتلتها طليطلة، وعلى قيمة عمل جيرار الكريموني، بأنه لما قدم إلى طليطلة عام 1165م تقريباً وأعجب بثروة العرب في العلوم والفلسفة، انعقدت إرادته على أن يترجم خير ما في هذه الثروة إلى اللغة اللاتينية فقضى سني حياته في ترجمة العلوم «واستعان كما يبدو بمسيحي من أهل المدينة وبآخر يهودي»[2]، لأنه، كما يقول ول ديورانت ليس من المعقول أن يكون جيرار الكريموني وحده هو الذي ترجم هذا الكم الهائل من الكتب العربية إلى اللاتينية، دون أن يعاونه فيها أحد. ومن هذا المنطلق وازن ول ديورانت بين عمل جيرار الكريموني الأوروبي وعمل حنين ابن اسحق العربي[3]، إذ يقول «وقصارى القول أن ليس في التاريخ كله

---

(1) سيمون الحايك، تعربت وتغربت، المطبعة البوليسية، بيروت، 1987، (ص 50).

(2) توماس أرنولد، تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، ترجمة وتعليق جرجس فتح الله، دار الطليعة للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، 1972، (ص347).

(3) ماهر عبد القادر محمد، حنين بن اسحق: العصر الذهبي للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1986. راجع مؤلفاته.

رجل أغنى بمفرده ثقافة بأخرى كما فعل جيرار هذا. ولا يضارع جيرار في عمله هذا إلا عمل حنين بن اسحق، وعمل بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون، وهما اللذان صبا العلوم والفلسفة اليونانية في القالب العربي»[1].

اتقن جيرارد الكريمونى اللغة العربية وعرف أسرارها، وعرف كيف ينتقى ويختار، من بين التراث العلمي العربي، كتابات يمكن أن يكون لها مفعول السحر في أوروبا، التي كان لابد لها أن تصحو من غفوتها. كان الكريمونى يبحث عن كتاب المجسطى لبطلميوس، فقاده البحث إلى كنوز لم تكن لتخطر له على بال. ابتدأت الرحلة بالبحث عن كتاب المجسطى، وانتهت بترجمة المجسطى والقانون في الطب، والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي وعدد كبير من الكتابات العلمية العربية.

نقل جيرارد الكريمونى إذن كتاب القانون من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية[2] وهو عمل شاق وجهد كبير. ووضع كتاب القانون في الطب بين أيدى الأوربيين، علماء وأطباء وفيزيائيين وصيادلة وعلماء تشريح وغيرهم. وتوالت طبعات هذا الكتاب وترجماته، وتم تداوله في أوروبا على نطاق واسع.

✓ أولا: جيرارد الكريمونى والترجمة اللاتينية الأولى لكتاب القانون في أوروبا وطبعاتها

تشكل الترجمة اللاتينية التي عملها جيرارد الكريمونى في القرن الثانى عشر الميلادى لكتاب القانون في الطب عملاً علميًا مهمًا بالنسبة للمعرفة العلمية في مجال الطب، فهناك مجموعة من الأمور المتعلقة بطبعات كتاب القانون كما نُشر في أوروبا في العصور الوسطى منها:

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، جـ17، ترجمة محمد بدران، مكتبة الأسرة،2001، (ص 18-19).

(2) Haskins, C. H., The Renaissance of the Twelfth Century, Cambridge, Harvard University Press, 1927, (p. 287).

1ـ أن كتاب القانون قد طبعت أجزاء من ترجمته اللاتينية عدة مرات قبل سنة 1500 على سبيل المثال:

- طبع في ميلانو 1473.
- بادوا 1476، 1497.
- البندقية 1483 وطبعات متتالية.
- طبع الكتاب عام 1490 في البندقية، وهذه هي طبعة أوكتاف سكوت، وكان سكوت طباعًا وناشراً شهيراً استمرت سلالته في هذا العمل في البندقية حتى أوائل القرن السابع عشر.

2. طبعت الترجمة طبعات كاملة في الأعوام التالية:

- البندقية 1544، 1582، 1595.
- ولوفان ببلجيكا 1858.

وهذه الطبعات إنما هي مأخوذة عن الترجمة اللاتينية الأولى التي عملها جيرارد الكريمونى، وظلت هذه الترجمة هي الترجمة الأم، كما ظلت مقصد الدارسين والباحثين من علماء أوروبا. وهذا يعني من الناحية المعرفية أن كتاب القانون أصبح رافداً مهماً من روافد المعرفة بالنسبة للأطباء في أوروبا، كما هو بالنسبة لحركة التعليم والتدريس. كما يعني هذا الأمر أيضا كيف أن العلوم الطبية والمعارف التي احتواها كتاب القانون نسخت المعارف الطبية التي كانت قبلها. كان الأوربيون يدركون هذا تمام الإدراك ويعرفون أن المعارف الطبية المودعة في كتاب القانون تشكل جماع المعارف الطبية التي مرت بها البشرية في تاريخها الطويل. ومن الناحية المنهجية جاء البنيان العلمي المتسلسل لكتاب القانون في الطب معبراً عن عقل مبدع منظم. عقل يعرف كيف يمكن للتعليم الطبي أن ينتظم نسقاً علمياً واضحا محددا. وربما كانت هذه الميزة أحد أهم القواعد التي جعلت جيرارد الكريمونى يقوم بترجمة هذا الكتاب منتقيا إياه من بين

العديد من الكتابات الطبية الأخرى. كانت أوروبا مقبلة على عصر المنهج، وقد بدأ التهيؤ لهذه الخطوة منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى، حيث بدأت العناية البكرة بالمنهج التجريبى. لكن لم يتوقف الأمر عند مجرد الطبعة الأولى ؛ بل بدأ التفكير في إصدار طبعة لاتينية ثانية في القرن السادس عشر.

✓ ثانيا: أندريا الباجو والترجمة اللاتينية الثانية

عملت ترجمة لاتينية أخرى بعد ثلاثة قرون تقريباً من ترجمة جيرارد الكريمونى لكتاب القانون وهذه الترجمة الجديدة من عمل أندريا الباجو[1] Andrea Alpago Belloun الذي نقل بعض كتابات ابن النفيس إلى اللاتينية[2]. وقد ظهرت طبعة الباجو عام 1527 والذي نشرها هو ابن أخيه بولس لأن أندريا الباجو كان قد رحل ومضت على وفاته في ذلك الوقت ست سنوات[3]. والواقع أن أندريا الباجو كان قد راجع الترجمة العربية التي عملها جيرارد الكريمونى في القرن الثانى عشر بمدينة طليطلة ؛ لكنه وقد قضى عمره سفيراً في الدول العربية، وأجاد وأتقن اللغة العربية، وجد أن الترجمة ليست على المستوى الذي يتمناه، فقام بعمل ترجمته بمساعدة ابن أخيه بولس. وجاء عنوان الترجمة اللاتينية الجديدة التي وضعها أندريا الباجو كما يلى:

LIBER CANONIS MEDICINE (البندقية 1527).

---

(1) سيمون حايك، تعربت وتغربت، 572 وأندريا الباجو عاش في الشرق سفيراً، وأخذ ينقب عن كنوز الشرق لينقلها في ترجمات لاتينية إلى الغرب، ونقل معظم كتابات ابن النفيس إلى اللاتينية. راجع في ذلك التناول الكامل لقضية تعامل أندريا الباجو مع كتابات ابن النفيس في: ماهر عبد القادر محمد، مقدمة في تاريخ الطب العربى، دار العلوم العربية، بيروت، 1988.

(2) ماهر عبد القادر، مقدمة في تاريخ الطب العربى، 1988.

(3) سيمون حايك، تراثنا المفضال، 1993، (ص 149).

وكما يقول سيمون الحايك أن أندريا الباجو ذكر في المقدمة «أنه أعاد النظر في كتاب القانون لابن سينا انطلاقاً من النص العربى»[1]. ويذكر زهير حميدان أن الترجمة التي وضعها أندريا الباجو هى من أفضل الترجمات اللاتينية، وأن نسخها الخطية موجودة في متحف بال بسويسرا [2]. ولسنا نعرف ما إذا كان زهير حمدان قارن الترجمتين أم لا. وتلك هى الترجمة اللاتينية الثانية لكتاب القانون.

لكن هناك ترجمات أخرى عملت لكتاب القانون في الطب وسوف نشير إليها في أثناء عرضنا للأجزاء المختلفة لكتاب القانون.

✓ ثالثا: الترجمات العبرية لكتاب القانون وطبعاتها

يذكر الأب جورج شحاته قنواتى[3]، أن كتاب القانون في الطب ترجم إلى العبرية سنة 1279م في روما، وطبع في نابولى سنة 1491م، ولاتزال طبعاته تتوالى، لكن الأب قنواتى لم يذكر لنا من الذي قام بالترجمة العبرية، وهل كانت لدينا ترجمة عبرية واحدة أم أكثر؟ لننظر في المسألة ونحاول أن نتتبعها تاريخيا، لنقف على حقيقة ما جرى بالنسبة للترجمة العبرية.

لقد كان نشاط الترجمة في طليطلة يسير على قدم وساق، وسرت هذه الروح العلمية والنزعة للترجمة في كل كيان إسبانيا، وانتقل هذا إلى أوروبا. وكان لابد لحركة ترجمة العلوم العربية التي قصدها الأوروبيون أن تصل إلى مداها عبر موجات متعددة جاءت على أكثر من مرحلة، ومثلتها أكثر من لغة. ويصور لنا دانيال جاكار هذه الموجات

---

(1) سيمون الحايك، تراثنا المفضال، (150).

(2) زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، (ص 333).

(3) الأب قنواتى، مؤلفات ابن سينا، (212).

ورحلة الكتابات العربية مؤكداً انه قد «وصلت النصوص العربية إلى الغرب عبر موجتين متتاليتين من الترجمات: الأولى عبر ايطاليا الجنوبية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر، والثانية عبر إسبانيا، بعد الأولى بحوالي قرن من الزمان»[1]، وبتشجيع من الملوك والأمراء «حاولت هاتان الموجتان أن تنقلا إلى اللاتينية العدد الأكبر من النصوص لسد النقص العلمي الذي كان يعانيه الغرب»[2]. ومعنى هذا أن مفكرى الغرب يعترفون بأثر وقيمة الفكر العربي والإبداع العلمي الإسلامي في شتى المجالات في الفكر الغربي، وأن حضارة الغرب بالتبعية مدينة للفكر العربي العلمي الإسلامي بالكثير في مرحلة النهضة الأوروبية.

لكن لم تكن اللغة اللاتينية وحدها في هذا المضمار، وإنما كانت هناك لغة سامية أخرى إلى جوارها تماما وهي اللغة العبرية التي نقلت إليها الأعداد الكبيرة من الكتابات العلمية والفلسفية العربية الإسلامية. وشجع أولوا الأمر في أوروبا هذا الاتجاه وعملوا على تدعيمه، مما كان له أكبر الأثر في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية، أو من اللاتينية إلى العبرية. ومن ثم فإن التوجه اليهودي العام في تلك الفترة هدف بالدرجة الأولى إلى ربط الثقافات المختلفة بعضها ببعض. لكن حين نزح اليهود بأعداد كبيرة إلى أوروبا بعد الأحداث التي اجتاحت إسبانيا، نسي المهاجرون من الأجيال الجديدة اللغة العربية التي كانوا يجيدونها، لاختلاف الوسط الطبيعى الذي يعيشون فيه، فكان أن اتجه علماؤهم إلى ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة العبرية، وكان كتاب القانون في الطب لابن سينا هو أحد الكتابات الطبية العربية المهمة التي عملت لها ترجمات عبرية عبر فترات ومراحل مختلفة.

---

(1) دانيال جاكار، تأثير الطب العربي في الغرب، 1997، (ص 1226).
(2) المرجع السابق.

ترجم الإيطالي ناثان هاميئتي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي كتاب القانون في الطب لابن سينا إلى اللغة العبرية[1]. وقام المترجم الإسباني يوسف بن يوسف هالورقي بترجمة جزء من كتاب القانون لابن سينا ومراجعة أعمال ابن سينا الأخرى في ترجماتها العبرية[2]. وأكد ليون يوسف الكاركاسوني - وهو مترجم إسباني، ترجم من اللاتينية إلى العبرية - أن الحاجة ماسة إلى كتب طبية أفضل في العبرية مادامت الترجمات المتيسرة من العربية إلى اللاتينية غير كافية، وانتقد بشدة ترجمة ناثان هاميئتي لقانون ابن سينا ومراجعة لورقي[3].

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي كان إبراهيم ابيكدور، وهو فرنسي الأصل، يقوم بالترجمة من اللاتينية إلى العبرية، فترجم جزء من قانون ابن سينا، وكان قد ترجمه سابقاً برنار البرتي من مونبلييه[4].

كان النصف الثاني من القرن الرابع عشر، أغنى فترات الترجمة، إذ بلغت اللاتينية حداً صارت الترجمات لا تنتقل إليها فقط؛ بل منها أيضا وبكميات كبيرة. وكانت العربية تترجم إما إلى العبرية أو اللاتينية أو القطلونية. وكان تيار الترجمة من العربية إلى اللاتينية قد أوشك على النضوب. وكانت الترجمة إلى القطلونية قليلة قياساً بالترجمات من العربية إلى العبرية، ولا يفوقها إلا الترجمات التي أخذت طريقها من اللاتينية إلى العبرية[5].

توالت إذن طبعات كتاب القانون إما إلى اللاتينية من العربية رأساً، أو إلى العبرية من العربية أو اللاتينية. وهذا يفسر لنا بعض جوانب حركة الترجمة، لأنه إنما يدل على

---

(1) مايرز، الفكر العربى والعالم الغربى، (ص125).
(2) المرجع السابق، (ص 134).
(3) المرجع السابق، (ص 136).
(4) المرجع السابق.
(5) المرجع السابق، (ص 137).

أن كتاب القانون في الطب لابن سينا لقي رواجاً كبيراً في أوروبا على مدى قرون. يقول ماكس مايرهوف: «وشدة الطلب عليه تتضح من كونه قد طبع في آخر ثلاثين سنة في القرن الخامس عشر ستة عشرة طبعة، واحدة باللغة العبرية والباقي باللاتينية. وفي غضون القرن السادس عشر أعيد طبعه أكثر من عشرين مرة... واستمر طبعه حتى النصف الأخير من القرن السادس عشر، وربما لم يكتب من قبل كتاب كان مثله موضع دراسة طويلة دائبة»[1]. ومن ثم فإن شهرة كتاب القانون لابن سينا وانتشار ترجماته في أوروبا تفسر لنا مدى تقدير ابن سينا وكتابه في الأوساط العلمية الأوروبية. وليس عبثاً «أن كلية طب جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعتها الكبرى إحداهما للرازي والأخرى لابن سينا»[2].

كانت علوم العرب إذن في ديار الغرب منارة لأوروبا وشمساً ساطعة عليها. وبلغة فلاسفة ومؤرخي العلم اليوم، فإن شدة الطلب، التي أشار إليها ماكس مايرهوف، على كتاب القانون في الطب لابن سينا يعني أمرًا مهماً، وهو أن كتاب القانون في الطب أُعتبر أحد كتب النصوص المهمة في الدرس العلمي، تلك التي يتعلم منها كل جيل كيف يمارس العمل العلمي والطبي[3]. لم يكن عبثاً إذن أن توجه الأنظار في أوروبا الصاعدة الناهضة إلى اختيار الكتب العلمية المهمة لتكون مناط الترجمة من العربية إلى اللاتينية أو العبرية «فقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوروبا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر، ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استثارة العلماء الذين بدءوا يستيقظون من سباتهم»[4].

---

(1) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، (472).

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية، (153).

(3) راجع الدور الذي تلعبه النصوص في تكوين وبنية المجتمع العلمي، وما يمكن أن تؤدي في المعرفة الإبستمولوجية في: ماهر عبد القادر محمد، بنية المجتمعات العلمية، الإسكندرية، 2001.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، (17/ 21).

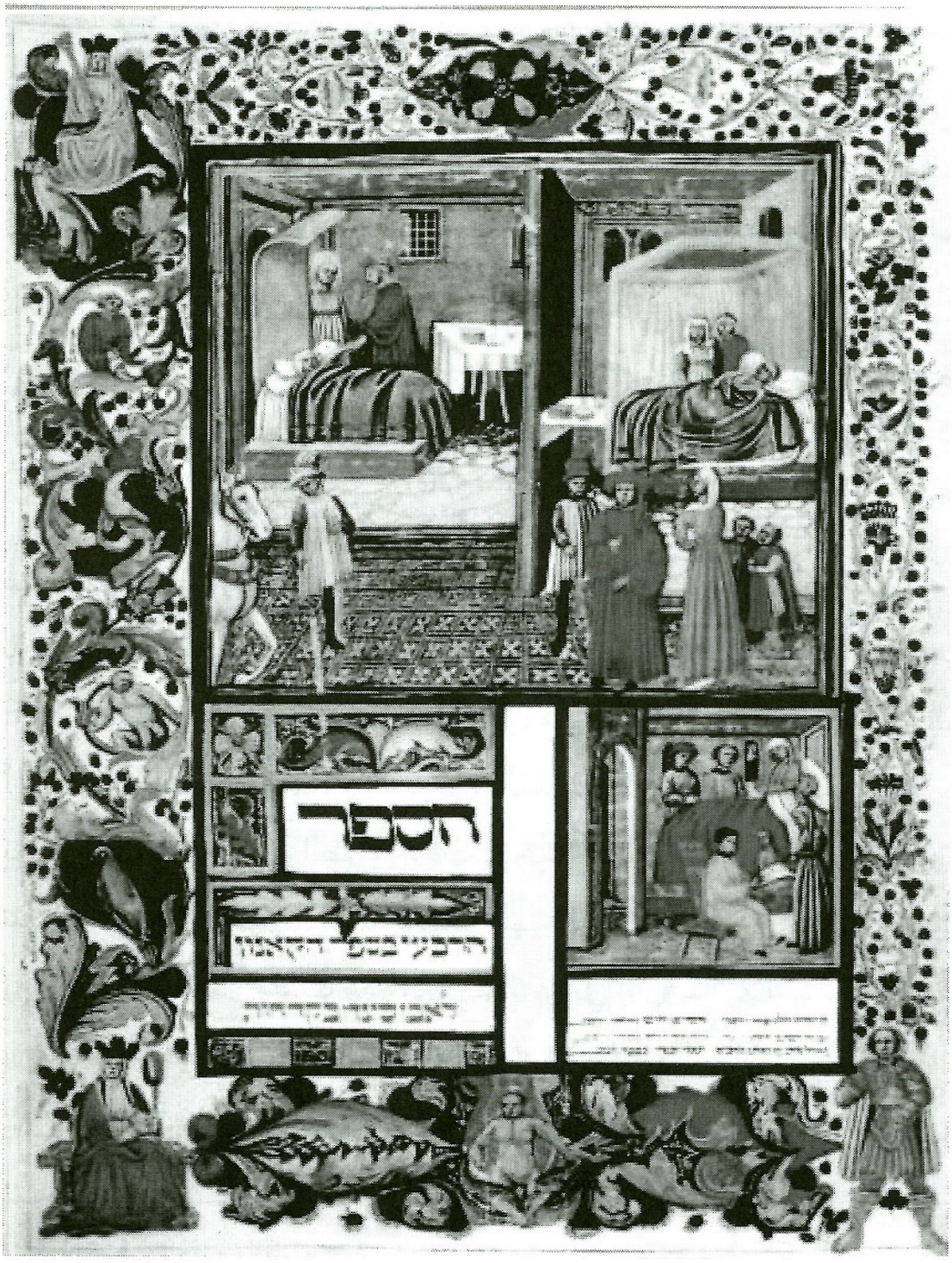

صورة لغلاف كتاب القانون في الطب في ترجمته العبرية

✓ رابعا: الترجمة الفارسية لكتاب القانون

مادام ابن سينا قد تصدر السياسة والرياسة في أصفهان وربوع إيران، ومادام قد تولى أمر وشؤون الدولة في فترة مهمة، وكانت لغته الأساسية هى اللغة الفارسية، فإنه من الطبيعى أن يكون قد دون القانون في الطب باللغة الفارسية أيضًا، تماماً كما دونه باللغة العربية، وهذه المسألة أسهل وأيسر بالنسبة له كمؤلف من أن يقوم بهذا العمل شخص آخر غيره، فهو صاحب الفكر، وصاحب النظريات التي أودعت في كتاب القانون، وهو أقدر على التعبير عن جل النظريات والآراء التي دفع بها إلى كتاب القانون من غيره. وربما يتبين لنا من نصين ذكرهما ابن أبي أصيبعه في عيون الأنباء، ما نذهب إليه من معنى. يذهب ابن أبى اصيبعه في النص الأول إلى سرد ما يقوله الجوزجانى في روايته لسيرة ابن سينا أن «قال أبو عبيد الجوزجانى، صاحب الشيخ الرئيس.... وكان بجرجان رجل يقال له أبو محمد الشيرازى يحب هذه العلوم... وصنف هناك كتبا كثيرة، كأول القانون.... وهذا فهرست كتبه.... القانون أربع عشر مجلدة...»[1]، كما يذكر في النص الثانى أن «كتاب القانون في الطب صنف بعضه بجرجان وبالري، وتممه بهمدان، وعول على أن يعمل له شرحا وتجارب»[2]. أما النص الأول فقد ذكره ابن أبى أصيبعه نقلا عن الجوزجانى الذي لم يقدم فيه تفسيراً للمجلدات الأربع عشر التي ذكرها، وعلى أي الأجزاء يحتوي كل مجلد منها، وما هو تصنيفها، وهل هي مكتوبة اللغة العربية أم باللغة الفارسية؟ كل هذه أسئلة لا نجد عليها إجابة في هذا النص. وأما النص الثانى فيبين لنا ارتباط تدوين العلم الذي جاء في كتاب القانون بالجغرافيا، أي الأماكن التي تم إنجاز القانون فيها. ليست هناك إذن

---

(1) ابن أبى أصيبعه، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (440).

(2) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، (457).

معلومات كافية في عيون الأنباء حول هذه النقطة بالذات. وليس لدينا معرفة دقيقة بالترجمة الفارسية، ولم نرَها أصلاً[1].

✓ خامسا: الترجمة السريانية لكتاب القانون

والذي لاشك فيه أن أهمية القانون تتضح أيضًا من توجه أهل الثقافات المختلفة لترجمته في ثقافاتهم ليثري العمل العلمي في اللغة المنقول إليها، وليشكل رافدا مهما من روافد الفكر العلمي في هذه الثقافة أو تلك.

وما نعلمه أن ابن العبري (1226-1286م) الذي ولد لأب يهودي اعتنق النصرانية واشتغل بالطب، يضرب بسهم وافر في العلوم والتاريخ والطب وغيرها، وأصبح جاثليقا ورئيسا لليعاقبة في تكريت عام 1264م، والذي من بين أهم كتبه الجزء العربى الذي عرف باسم مختصر تاريخ الدول، والذي هو جزء من كتابه عن التاريخ العام قد ترجم إلى اللاتينية بعنوان Gregorio Abu'L-Pharagis Historia Orientalis والذي طبعه بوكوك Pococke في أكسفورد 1663م والملحق عام 1672م، وصدر في طبعة صالحاني في بيروت 1890م. قام ابن العبرى بنقل كتاب القانون في الطب لابن سينا إلى اللغة السريانية، كما نقل أيضا كتاب الغافقى في الأدوية المفردة إلى اللغة السريانية. وكان أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقى من أهل الأندلس، أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها من أصلية وبربرية وعربية[2]. والجدير بالذكر أن أحمد عيسى يذكر أن كتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة، ولا شبيه له في معناه. ويذكر سامي حمارنه أن الغافقى يقول في مفتتح كتابه: « قد شرعت في وضع كتاب في الأدوية المفردة اتخذته

(1) راجع المزيد في تحقيقنا ودراستنا كتاب القانون في الطب، لابن سينا (قيد النشر).
(2) أحمد عيسى، تاريخ النبات، (ص 166)، نقلا عن: ابن أبى أصيبعة.

تذكرة لنفسى، ولم أحب إذاعته في أيدى الناس، ومنعني من ذلك ما رأيته من قلة أهل البصر بما يوضع على صواب وعلى غير صواب، وقلة معرفتهم بالفرق... فأقول إن غرضي كان فيه شيئان، الأول: أن أجمع فيه جملة من أقاويل القدماء والمحدثين من أهل البصر من الأطباء. والثانى، أن أشرح ما وقع في كتب الأطباء من أسماء الأدوية المجهولة، ومنهم من يكذب كما فعل ابن سينا في مواضع كثيرة من أدويته(فيه) وغلط الغلط الفاحش[1]، ويذكر لنا الأستاذ كارل بروكلمان في المادة التي أعدها عن ابن العبري وأعماله في دائرة المعارف الإسلامية « ونذكر منها بنوع خاص ترجمته الناقصة لقانون ابن سينا، وترجمته الموجزة للأدوية المفردة للغافقى»[2]. وربما جاز لنا القول أن هذه الإشارة هي الأولى من نوعها التي تشير إلى قيام ابن العبرى بترجمة القانون في الطب إلى السريانية. لم يعرف الباحثين العرب هذا الأمر من قبل، وقد أشار إليه الأستاذ بروكلمان، ولم يتنبه له أحد من باحثينا، ولم يعرفوا قيمة هذه الإشارة ومغزاها. ونسجل هذا من خلال هذه الندوة الدولية التي تعقد في مدينة الرباط لبيان أثر الإسلام في أوروبا[3].

كان ابن العبري من بين أولئك الذين وجهوا جل اهتمامهم للثقافة العربية، ومحاولة تزويد الرافد السريانى بالفكر والثقافة العربية ؛ ومن ثم جاء اهتمامه بترجمة كتاب القانون في الطب إلى اللغة السريانية في القرن الثالث عشر الميلادى. ويرتبط ابن العبري بالخلط الذي حدث لدى الغربيين فيما يتعلق بقصة مكتبة الإسكندرية القديمة التي تداولتها الكتابات المختلفة، وأشارت فيها إلى ضياع المكتبة القديمة وفقدها وقت

---

(1) سامي حمارنه، مخطوطات الطب والصيدلة، (359).

(2) بروكلمان، ابن العبرى، دائرة المعارف الإسلامية، (1/ 228).

(3) أشرت في مناسبات أخرى عديدة إلى بعض الاكتشافات التاريخية التي توصلت إليها من العمل في كتاب القانون: مثل اكتشاف مخطوطة ابن المطران للكتاب الثالث من كتب القانون، وهي من نسخه، واكتشاف بعض النسخ المهمة للكتاب الثاني والتي لم تكن معروفة للباحثين العرب.

الفتح العربي، وقد أبنت عن هذه المسألة بالتحليل والمقارنة في كتابي **مكتبة الإسكندرية: روح الشرق.**

✓ سادسا: الطبعة التركية لكتاب القانون

كان للثقافة التركية نصيب مهم في تراث ابن سينا، فأكبر عدد من مخطوطات ابن سينا يقبع في الخزانات التركية، وتحافظ تلك الخزانات على هذا التراث بصورة كبيرة، ومن ثم فحالته الصحية أكثر معافاة من حال مثيلاتها في الخزانات الأخرى خارج تركيا. ومن حسن الطالع أن مكتبة بلدية الإسكندرية، وهي المكتبة الرئيسة في المدينة، كانت تحتفظ بنسخة للترجمة التركية لكتاب القانون في الطب لابن سينا. وهذه النسخة تحمل رقم 3066/ ب وتقع في مجلدين، مجموع أوراقهما 1057 ورقة، مقاس الورقة الواحدة 35 X 20 سم، وعلى هذا فهي المخطوطة الأكبر من حيث قطع الورق، والأضخم من حيث عدد أوراقها[1]. لكن الجدير بالذكر أن صاحب المقال لم يقدم لنا معرفة تشير إلى من الذي عمل الترجمة التركية لكتاب القانون؟ ومتى عملت هذه الترجمة؟ وأين؟ ربما لم يستطع صاحب المقال أن يتوصل إلى هذه المعلومات لكون المخطوطة مكتوبة باللغة التركية. لكن المهم أن هناك ترجمة تركية لكتاب القانون، وأن نسخة هذه الترجمة كانت من نصيب مكتبة بلدية الإسكندرية، وهي على أية حال ليست في مكتبة بلدية الإسكندرية التي انتقلت كتبها إلى مكتبة الإسكندرية الحديثة!

✓ سابعا: الترجمة الإنجليزية لكتاب القانون

يوجد لدينا عدد من الترجمات المختلفة لكتاب القانون لابن سينا، ومن بين أهم هذه الترجمات:

---

(1) يوسف زيدان، مخطوطات الطب والصيدلة بالاسكندرية: استكشاف وتحليل، (73).

ترجمة جرونر الذي عملها للجزء الأول من الكتاب، أي كتاب الكليات والتي سبقتها دراسته عن كتاب القانون بأسره، وقد نشرت هذه الترجمة عام 1930 في لندن.

Gruner, O. Cameron., A Treatise on the Canon of Medicine of Avicenna, London,1930

✓ ثامنا: الترجمة الإنجليزية الحديثة لكتاب القانون

ونمتلك بين أيدينا نسخة حديثة لترجمة الجزء الأول والثاني من القانون إلى اللغة الإنجليزية بعنوان:

THE CANON OF MEDICIN (AL-QANUN FIL-TIBB), AVICENNA, Adapted by LALEH BAKHTIAR, From Translations of Volume I by O CAMERON GRUNER and MAZAR, H.SHAH Correlated with the Arabic by JAY R.CROOK with notes by O. CAMERON GRUNER, series editor SEYYED HOSSEIN NASR

وقد صدرت هذه الطبعة الإنجليزية عام 1999 في شيكاجو وتقع في 710 صفحة وتشمل الكتابين الأول والثاني، وإصدار هذه الطبعة الإنجليزية يدل دلالة واضحة على تجدد الاهتمام الغربي بدراسة كتاب القانون، وبصورة خاصة الكليات كما جاءت في الكتاب الأول والأدوية المفردة كما جاءت في الكتاب الثاني.

✓ تاسعا: الترجمة الفرنسية لقسم التشريح في القانون

وقد فهم العلماء في أوروبا أهمية ما ذكره العلماء العرب والمسلمين بصفة عامة عن التشريح، فقام دي كوننج بترجمة الجزء الخاص من التشريح في كتاب ابن سينا، ونشره في عام 1903 تسبقه دراسة تفصيلية للتشريح عند العرب.

De Koning, P., Trois Traités d'Anatomie Arabe, 1903.

✓ عاشرا: الترجمة الألمانية للقانون

1 ـ كان الجزء الخاص بدراسة أمراض العين في كتاب القانون موضع اهتمام الأستاذ هيرشبرج وليبر، وقد نشراه مع دراسة موسعة عام 1902 بعنوان:

Hirschberg et J. L. Lippert., La Partie Ophtalmolgique dana die Augen-heikunde des Ibn Sina, Leipzig, 1902

2 ـ وقام يوسف جوزيف فون زنتهيمر بترجمة الكتاب الخامس من القانون الذي هو عن الأدوية المركبة، الأقراباذين، مع دراسة موسعة عن الأدوية المركبة عند العرب في ضوء الكتاب الخامس، ونشرت الترجمة في فرايبورج عام 1844:

Sontheimer, Jos.V. Die Zusammengesetzten Heilmittel der Araber nach dem 5. Buch des Canons Ubersetzt, Freiburg, 1844

هذا بالإضافة إلى العديد من الدراسات التي صدرت في بلدان الغرب بلغات عديدة وتحتوى على مقاطع كبيرة من كتاب القانون في ترجمات مختلفة وبناء على الترجمة اللاتينية التي عملها جيرار الكريمونى.

✓ حادى عشر: الطبعة العربية لكتاب القانون في روما 1593

طبع كتاب القانون بالعربية لأول مرة في روما عام 1593 على المطبعة الحجرية في مطبعة ميديتشى فكانت حدثاً له قيمته العلمية الفائقة في عالم الطباعة في الغرب، ثم في العالم الإسلامي عبر مصر بعد قرابة ثلاثة قرون، وبعد أن دارت رحى أول مطبعة عربية في مصر والتي عرفت باسم «مطبعة بولاق».

✓ ثانى عشر: شراح القانون من الأوربيين في العصور الوسطى

شغلت بعض الكتابات العربية المبكرة بحركة كتاب القانون في العالم الأوروبي في العصور الوسطى، نظراً للمكانة العلمية التي احتلها هذا المؤلف، وكان من بين الكتابات التي تناولت هذا الجانب ما ذكره الدكتور سلمان قطايا[1]، وما ذكرته عن حركة كتاب القانون في أوروبا في العصور الوسطى[2].

ويمكن لنا تتبع شراح كتاب القانون على النحو التالي:

- في القرن الثالث عشر شرحه تاديه دو فلورانس Thadee de Florence.
- في القرن الرابع عشر شرحه جانتلى دو فولينيو Gentile de Foligno، وجينوديل كاربو Gino del Garbo وجوهانيس ماتيوس كراندي Johannes Mattheus Grandi وجيوفاني اركولاني Giovanni Arcolani.
- في عام 1442 كتب الفرنسي جاك ديبارس Jaques Depars تعليقا على كتاب القانون.

✓ ثالث عشر: مطبعة بولاق والطبعة العربية الأولى لكتاب القانون

جاءت الطبعة الأولى لكتاب القانون في الطب بالقاهرة (بولاق 1294هـ) وقد شكلت نقطة تحول مهمة في التصورات العلمية العربية، وللأجيال التي باتت ترى الكتب مطبوعة بأعداد هائلة بدلاً من نسخها باليد. ويذكر الدكتور سلمان قطاية عن الطبعة العربية لكتاب القانون أنه «وفي آخر صفحة من طبعة القاهرة جاء ما معناه: أنه

---

(1) سلمان قطاية، كتاب القانون لابن سينا، عالم الفكر، الكويت، المجلد السابع، العدد الثانى، 1976، (ص192-193).

(2) ماهر عبد القادر، مقدمة في تاريخ العلم العربى، (1986).

بدئ بطبع الكتاب نقلاً عن نسخة جلب بها من البلاد الأجنبية، ولكن وجد أن تراكيبها مختلفة، وعباراتها غير صحيحة فتوقف الطبع. عندئذ جيء بنسخة جيدة مخطوطة من عند حسن باشا راسن، فطبع الكتاب عنها».

وبمراجعة الطبعات العربية التي صدرت لكتاب القانون وجد أن بعض هذه الطبعات نقلت عن طبعة بولاق الصادرة عام 1294هـ، والبعض الآخر أخذ عن طبعة روما مع بعض التصرف المخل، وأن الطبعات العربية المنشورة والمأخوذة عن الطبعة البولاقية أو طبعة روما، ليست محققة، وإنما ذهب الناشر في الطبعات العربية إلى الإشارة لبعض التصويبات، أو بعض معاني الكلمات، أو الأدوية دون أن يتطرق الأمر للتحقيق بمعناه المعروف للترويج لطبعة هي أقرب إلى الصفة التجارية منها إلى الصفة العلمية، وهو ما جعلنا نعكف منذ زمن على تحقيق هذا الكتاب العلمي النفيس، بصورة علمية، وبفضل الله وتوفيقه ومنه أُنجز العمل في أربعين جزءاً.

يبدو أن مطبعة بولاق لعبت دوراً مهماً في نقل التراث العلمي العربي، في أوائل عصر الطباعة الحديثة في مصر. وقد صدر مؤخراً كتاب يوثق لمطبعة بولاق ودورها في النهضة العلمية وما استتبع ذلك من بعث لحركة التنوير في ربوع العالم العربي الإسلامي.

✓ رابع عشر: الترجمة الروسية لكتاب القانون في الطب

لكون كتاب القانون في الطب عملا علميا مهما، فقد استوقف العلماء الروس ضرورة ترجمته إلى اللغة الروسية، وقد أخبرنى البروفسور فريد أكبرلى رئيس جمعية تاريخ الطب بأذربيجان أنه قد عملت ترجمة روسية لكتاب القانون في شقند بجمهورية أوزبكستان وصدرت في 6 أجزاء في الأعوام 1981-1982 وأشرف عليها عبد الله كريموف، وقام بالترجمة الأساتذة:

by U.I.Karomov, Y.U.Zavadovsky and S.Mirzayev

وطبعت الترجمة في Fan Publishing House بطشقند . وقد أفادنى البروفسور أكبرلى أن هذه الترجمة جيدة، وأنها جاءت في 6 أجزاء نظرا لأن الكتاب الثالث من القانون جاء في الترجمة الروسية في كتابين، وأن المراجع جاءت بالروسية.

✓ خامس عشر: الترجمة الأوزبكية لكتاب القانون في الطب

لم ينس أهل أوزبكستان أن ابن سينا منهم، وأنه سليل تلك البلاد العريقة فكان أن عملت ترجمة أوزبكية في طشقند ونشرت في Fan Publishing House في فترة مبكرة قبل النشرة الروسية، لكننا لا نعرف حتى الآن تاريخ صدور هذه الترجمة، ومن الذي قام بها.

الطوق الإبستمولوجى لميثودولوجيا القانون في الطب

ربما كان السؤال الجدير بالتناول الآن هو: لماذا أقبل الأوربيون على كتاب القانون في الطب لابن سينا إقبالاً لا نجد مثله في الكتابات العربية الأخرى، على الرغم من حفاوة الغرب واستفادته من المؤلفات العربية الأخرى بصورة كبيرة؟ لماذا ابن سينا ؟ ولماذا كتاب القانون على وجه الخصوص؟ إن هذه المسألة لابد وأن تستوقفنا من الناحية الإبستمولوجية من خلال بنية النص العلمي للقانون في الطب، ومن خلال توجه العقل الأوروبى في فترة القرن الثانى عشر والثالث عشر إلى مستقبل وواقع جديد، لم يكن من المعروف للأوروبيين كيف سيتشكل، وجاءتهم الإجابة بعد جهد وعناء في البواكير الأولى للقرن السابع عشر، وعلى وجه التحديد مع الأورجانون الجديد (1620) الذي دونه فرنسيس بيكون، والمقال في المنهج الذي دونه ديكارت(1627): الأول تقعيد منهجي للبناء المعرفي والعلمي وقد أحدث ثورة علمية هائلة في البحوث والدراسات التي بدأت تجري على أساس علمي. والثاني تقعيد إبستمولوجي للوعي

الفلسفي والعلمي معًا. لكن قبل أن نستطرد في هذا الجانب نحاول أن ننظر في مسألة ما أسميته الطوق الإبستمولوجي لميثودولوجيا كتاب القانون في الطب. ماذا نقصد بهذا المصطلح ؟

إن هذا السؤال يشكل نقطة مهمة في فهم تفكير وعقلية ابن سينا العلمية، تلك العقلية التي جعلته محل تقدير الأوروبيين على امتداد قرون طويلة؛ خاصة وأن مكانة ابن سينا في الغرب اقترنت بكتاب القانون في الطب بالدرجة الأولى قبل أن يتعرف الغرب على فلسفته، على عكس ما حدث في الشرق الذي تعرف على فلسفته وأهمل كتاب القانون.

كان ابن سينا على وعي بأنه يؤسس لعلم على درجة كبيرة من الأهمية، وهو علم الطب، وهذا العلم قد تناثرت كتاباته وأقوال الحكماء فيه على مدار القرون التي سبقته، ولم تكن هناك بنية معرفية تجمع شتات هذا العلم، هذا من جانب أول. وفطن ابن سينا إلى أن الكتابات الطبية السابقة عليه لم تخضع لمنهج تسلكه في رحلة الانتقال من الأمراض إلى الأعراض، ومن السبب إلى النتيجة، ومن التشخيص إلى العلاج، هذا من جانب ثانٍ. ولما كان ابن سينا منطقيًا، فقد وظف معرفته المنطقية ومهاراته الاستنتاجية في سؤال معرفي دقيق وبسيط وهو: ما الخطة التي يمكن وفقاً لها أن أتناول علم الطب، بحيث يكون أوله مقدمة لآخره، وآخره لازم عن أوله؟ كان هذا هو السؤال المنهجي الذي يتعين على عالم مثل ابن سينا أن يضعه نصب عينيه ليضع كتاباً في الطب يكون نبراسا للفكر العلمي. لذا بدأ ابن سينا بالكليات التي وضع من خلالها نظرية العلم في الطب، والتي تصبح مصدرًا معرفيًا لازمًا لكل ما يأتي بعدها، ثم انتقل من هذا إلى الأدوية، وبيان قوتها، وأثرها وأي الأمراض تشفيها والمحاذير التي لابد من أخذها في الاعتبار عند وصفها، وهلم جرا. وانتقل من هذا إلى تناول الأمراض التي تصيب الجسم عضوا عضوا، وبين أسبابها وعلاماتها، وكيفية علاجها، ثم أردف هذا بالبحث

في الأمراض ذاتها، وانتقل أخيراً إلى بيان كيفية تركيب الأدوية، أو ما يعرف بالأقراباذين.

إذن هناك خطة ومنهج وراء تدوين القانون في الطب، فالذي دون القانون عالم وطبيب. ولكن ليس هذا كافيا. فقد كان ابن سينا وهو السياسى الذي تصدر الوزارة يعلم بصورة دقيقة أن كل عمل ناجح لابد وأن تكون وراءه خطة أو منهج، أو استراتيجية فكرية واضحة ومحددة. وهنا استفاد ابن سينا الطبيب من ابن سينا المنطقي وابن سينا السياسي. ومن ثم تداخلت هذه المراتب المعرفية الثلاثة في عقل ابن سينا الواعى. فهم الغرب هذا الوجه الذي مثله ابن سينا معرفيا، ومن ثم لم يكن الاهتمام والتقدير الغربي للوجه العلمي لابن سينا عشوائياً، وإنما جاء هذا التقدير بناءً على نظرات عميقة أعملت في كتاب القانون كان من نتيجتها أن زودت الباحثين الغربيين بزاد علمي انطلقت منه بحوثهم التجريبية بعد ذلك. وأصبحت بالنسبة لهم مرشداً علمياً.

أما الوجه الميثودولوجي، أو المنهجي الذي اكتشفه الغرب في ابن سينا فيمكن التدليل عليه من خلال بعض السمات المنهجية التي ميزت كتاب القانون وجعلت الغرب يقبل عليه اقبالاً، والتي من بين أهمها:

الدقة والتعمق والترتيب

وهذه أول مميزات البحث العلمي والباحث الجاد. إذ أن من معايير الحكم على البحث العلمي الذي يجريه الباحث أو العالم، خاصية الدقة والغوص في البحث جزئياته وكلياته، وسلامة الانتقال من المقدمات إلى النتائج. وفى هذا الصدد « تمتاز مؤلفات ابن سينا بالدقة والتعمق والترتيب، وهذا مالا نجده في كثير من كتب القدماء من علماء اليونان والعرب». ويظهر أن الشهرستانى «لاحظ ما امتازت به مؤلفات ابن سينا فقال: إن طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة، ونظمه في الحقائق

أغوص»[1]. انتقلت هذه الخاصية، التي امتاز بها أسلوب ابن سينا، إلى الفهم والوعي العلمي الغربي عندما بدأ الغرب في تأسيس أركان نهضته في الفترة التي أعقبت نقل وترجمة الكتب العربية إلى أوروبا.

التمييز

إذا كان كتاب القانون في الطب قد اعتبره الغرب المرجع والنص الأساسي للطب والروح العلمية في بداية عصر النهضة الأوروبية، فإن ذلك يرجع إلى أن ابن سينا حرص على ابراز الجوانب العلمية للفهم والوعي المعرفي بالحقائق العلمية. فنجده يستخدم مصطلح الأعراض Symptoms الذي يدل بجداره على أنه كان يجرى في تشخيصه للأمراض على جميع الأعراض التي يشكو منها المريض. وهذه الأعراض إما أنها « مؤقتة تبتدىء وتنقطع مع المرض كالحمى الحادة والوجع الناخس في ذات الجنب. وإما أن تأتى آخر الأمر ومن ذلك علامات البحران وعلامات النضج. ومن الأعراض ماليس له وقت معلوم فيتبع المرض تارة وتارة لايتبع كالصداع للحمى»[2].

ولكن إذا كانت الأعراض هي ما يلاحظه المريض والعلامات هي ما يراه الطبيب بنفسه، فإن لكليهما دلالات ثلاث يفيد منها المريض والطبيب. فالدلالة إما على أمر حاضر وينتفع به المريض وحده فيما ينبغى أن يفعل من واجب تدبير نفسه، وإما على أمر ماض يفيد منه الطبيب وحده إذ قد يستدل بذلك على تقدمه في صناعته فتزداد الثقة بمشورة الطبيب، وإما على أمر مستقبل ينتفعان به جميعاً، الطبيب يستدل منه على تقدمة المعرفة في المعرفة والمريض يقف منه على واجب تدبيره[3].

---

(1) طوقان، العلوم عند العرب، دار اقرأ، بدون تاريخ، (ص 161).

(2) جلال موسى، الطب والأطباء، عالم الفكر، المجلد التاسع، أبريل- يونيو، 1978، (1/ 78)، وأيضا: ابن سينا، القانون.

(3) ماهر عبد القادر، التحليل والتحليل الداخلي للنص عند ابن النفيس، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لتاريخ العلوم التي عقدت في رحاب مركز التراث بجامعة بغداد 1988.

ويرتبط جانب التمييز عند ابن سينا بالتشخيص المقارن ؛ إذ نجد ابن سينا يبدأ بتعريف المرض والتفرقة بينه وبين غيره من الأمراض عند وجود تشابه بينهما، فمثلاً نجده يتكلم عن الفرق بين السدد والدوار فيقول: «السدد ظلمة تعتري البصر عند القيام، والدوار أن يتخيل صاحبه كأن الأشياء تدور، والسدد مقدمته وينذر أن إذا داما بسكته أو صرع»، وكذلك في الفرق بين ذات الجنب وذات الرئة، يصف المرض وأعراضه ذاكراً أن ذات الرئة قد ينتقل إلى قرحة في الرئة وهي السل. وكذلك في أمراض الكلي والمثانة يذكر علامات الحرارة والبرودة لكل منهما، وفى بين حصاة الكلي والقولنج، يقول ابن سينا: «الفرق بين حصاة الكلى والقولنج أن وجع حصاة الكلى صغير يبتدئ من أعلى وينزل إلى حيث يستقر من أى جانب كان، والقولنجي يبتدئ من الأسفل ومن اليمين ثم ينبسط، والقولنجي يخف على الخوى والحصوى يشتد عليه». وبعد أن يفرق ابن سينا بين حصاة الكلي والمثانة قال: «والحصاة مما يورث» قاصداً أن حصاة الكلى أو المثانة مما يُوَرَث[1].

كما وترتبط ملكة التمييز عند ابن سينا بمقارنة العوارض، إذ نجده يقدم لنا العديد من الأمثلة الدالة على هذا الارتباط. على سبيل المثال دراسة ابن سينا للاختلاف بين الجدري والحصبة. يقول ابن سينا: «اعلم أن الحصبة كأنها جدري صفراوي لا فرق بينهما في أكثر الأحوال؛ إنما الفرق بينهما أن الحصبة صفراوية وأنها أصغر حجماً وكأنها لا تجاوز الجلد ولا يكون لها سمك يعتد به وخصوصاً في أوائله. والجدرى يكون له في أول ظهوره نتوء وسمك وهي أقل من الجدرى وأقل تعرضاً للعين من الجدري. وعلامات ظهورها قريبة من علامات ظهور الجدري، لكن التهوع فيها أكثر والكرب والاشتعال أشد، ووجع الظهر أقل؛ لأن ميله في الجدري للامتلاء الدموي الممدد

(1) ابن سينا، الكتاب الثانى.

للعرق الموضوع على الظهر فإن تولد الجدري هو لكثرة الدم الفاسد، والحصبة لشدة رداءة الدم الفاسد القليل، والحصبة في الأكثر تخرج دفعة والجدري شيئاً بعد شيء[1].

التأصيل

فهم ابن سينا أهمية التمييز في مجال علم الطب، وفهم أن هذا الجانب يرتبط بمسألة مهمة ؛ ذلك أن الكلام عن العرض عند ابن سينا يرتبط بالكلام عن السبب والمرض كذلك، فأسباب وأحوال بدن الانسان عند ابن سينا هي الصحة والمرض والحالة المتوسطة بينهما[2].

العرض عند ابن سينا يسميه عرضاً باعتبار ذاته أو بقياسه إلى المعروض له ويسمى دليلاً باعتبار مطالعة الطبيب إياه وسلوكه منه إلى معرفة ماهية المرض، ولذلك كانت الوظيفة التي يؤديها العرض في الطب هي عين الوظيفة في المنطق. فإذا أدركنا أن العرض في الطب دليل الطبيب إلى ماهية المرض لم يكن ثمة خلاف في الدور الذي يؤديه العرض في الطب أو المنطق[3].

العلية

لكن إذا كان ابن سينا قد جد في البحث عن الأعراض والأسباب فإن هذا البحث بالتالي لابد وأن يستوقفه عند مسألة العلية ليربط الأسباب بالأعراض والأمراض. وهنا نجد ابن سينا يقدم لنا أمثلة متعددة للعلاقة بين السبب والمرض والعرض. يقدم لنا ابن سينا بياناً توضيحياً لهذه المسألة في الكتاب الأول من القانون حيث يقول: «مثال

---

(1) رشدى راشد (مشرفا) موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، 1997، (3/ 1176).

(2) ابن سينا، القانون، جـ 1، الفن الأول، التعليم الأول.

(3) جلال موسى، الطب والأطباء، (79).

السبب: العفونة، ومثال المرض: الحمى، ومثال العرض: العطش والصداع»[1]. ومع هذا نجد أن ابن سينا يقرر بأنه قد يتحول واحد من هذه الثلاثة إلى الآخر، وقد يصير سبباً لمرض آخر كالقولنج أو الصرع، وقد يصير العرض سبباً للمرض كالوجع الشديد يصير سبباً للورم لانصباب المواد إلى موضع الوجع، وقد يصير العرض بنفسه مرضاً كالصداع العارض عن الحمى فإنه ربما استقر واستحكم حتى صار مرضاً[2]. وقد يختلف الترتيب فيصير الشيء «بالقياس إلى نفسه وإلى شيء قبله أو بعده مرضاً وعرضاً وسبباً»[3]. المثال على ذلك أن الحمى السلية عرض لقرحة الرئة ومرض في نفسها وسبب لضعف المعدة، وكالصداع الحادث عند الحمى إذا استحكم كان عرضاً للحمى ومرضاً في نفسه[4].

من هذا المنطلق نجد أن ابن سينا يتوخى الدقة في المعالجات، ويحاول أن يقف على حقيقة العلاقة بين المرض والعرض والسبب. يقول ابن سينا في الكتاب الأول «إذا اجتمعت السدة والحمى عالجنا السدة أولا ولا نبالي بالحمى، لأن الحمى يستحيل أن تزول وسببها باقٍ»، ومن ثم فإن من رأيه أنه إذا اجتمع مرض وعرض فعليك أولا بعلاج المرض ؛ لأن العرض يتبع المرض ولا يسبقه؛ ولكن إذا ما غلب العرض قصدناه بالعلاج أولاً ولا نلتفت إلى المرض، وذلك بقصد تسكين الوجع، ويقدم لنا ابن سينا مثالاً على ذلك في حالة وجع القولنج الشديد «نسقي المخدرات في القولنج الشديد الوجع وإن كان يضر نفس القولنج»[5].

---

(1) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول.
(2) جلال موسى، الطب والأطباء، (80).
(3) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول
(4) جلال موسى، الطب والأطباء، (80).
(5) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول.

وما دامت العلاقة بين المرض والعرض والسبب تشكل مصدراً من مصادر الاهتمام بالنسبة لابن سينا، فإنه كما نجده في حديثة عن المعالجات يذهب إلى أنه «إذا اشكلت العلة فخل بينها وبين الطبيعة ولا تستعجل»[1]؛ لأن هناك احتمالان في هذه الحالة وهما: إما أن تقهر الطبيعة العلة أو تظهر العلة. ومن الأمور التي تحتاج إلى نظر أيضاً أن «يجتمع في مرض استحقاقان متضادان»[2]، كأن يستحق المرض تبريداً وسببه تسخيناً: التبريد في حالة الحمى والتسخين في حالة السدد الذي يكون سبباً للحمى[3]، أو قد يستحق المرض تسخيناً وعرضه تبريداً كما في حالة مرض القولنج الذي تستحق شدة وجعه تبريداً أو تخديراً وهو عينه يستحق تسخيناً.

نخلص من ذلك إلى أنه كان يعالج الضد، والصحة تحفظ بالمشاكل، وابن سينا يُجمل قوانين المعالجة في عبارته القائلة: «إذا أمكن التدبير بأسهل الوجوه فلا يعدل على أصعبها ويتدرج من الأضعف إلى الأقوى ولا يقم في المعالجة على دواء واحد فتألفه الطبيعة ويقل انفعالها عنه ولا يدل على الغلط ولا يهرب عن الصواب وحيث أمكن التدبير بالأغذية فلا يعدل إلى الأدوية»[4].

من نص ابن سينا السابق يتضح أنه يطالب الأطباء بعدم الوقوف عند استخدام دواء واحد كعلاج وحيد ؛ وربما كان السبب في هذا أن لكل بدن ولكل عضو خاصيته في الانفعال عن دواء دون دواء، ووقت دون وقت. وإذا كان الدواء المفرد كافياً في حصول الغرض فلا يعدل عنه إلى المركب، وآية ذلك أن المفرد أخف على الطبيعة من المركب ومفرداته أقل عدداً[5].

---

(1) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول.

(2) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول.

(3) جلال موسى، الطب والأطباء، (82).

(4) ابن سينا، القانون، الكتاب الأول، نقلا عن الطب والأطباء، (83).

(5) جلال موسى، الطب والأطباء، (83).

الاستدلال

لا يتوقف ابن سينا عند هذا المستوى من الفهم والتحليل ؛ وإنما يربط كل هذا بمسألة منهجية مهمة وهى مسألة الاستدلال، وهذا ما تكشف لنا عنه بعض الآراء التي تذهب إلى أن لابن سينا في العلامات أقوال، إذ منها ما يدل على ظاهر الأحوال ومنها ما يدل على الأحوال الباطنة «فالدال على الظاهر مثل اللون واللمس والطعوم والأرايج، والدال على الأحوال الباطنة كالبول والبراز»[1] . ويشترط ابن سينا في المستدل على الأمراض الباطنة من الأحوال السابقة أن يكون قد سبق له العلم بالتشريح الذي تقدم علم وظائف الأعضاء ومنافعها. ونحن نرى أن هذه المسألة من أدق الخصائص التي ميزت الطب العربى الإسلامي بالدرجة الأولى، فهى تقليد علمي ورثه الأطباء عبر الأجيال من الرازي الذي اشترط ضرورة اجتياز المتعلم للامتحان في التشريح قبل العلوم الأخرى، فإن اجتاز الامتحان أمكنه أن يتقدم إلى بقية العلوم الأخرى ليجتازها. وكذلك اشترط ابن سينا على من يتقدم للعلاج.

ويركز ابن سينا على أمر آخر، إذ يرى أنه من أدق واجبات الطبيب أن يسأل المريض عن علامات الأمراض التي يمكن أن تكون في الأمراض المشاركة في العضو العليل، أو تكون غير محسوسة ولا مؤلمة ألماً ظاهراً؛ إذ قد يهتدي الطبيب من ذلك إلى معرفة العلة، لأن أسباب الصحة والمرض قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية لاتنال بالحس بل بالاستدلال من العوارض فيجب أن تعرف في الطب العوارض التي تعرض في الصحة والمرض»[2].

---

(1) ابن سينا: القانون، الكتاب الأول، نقلا عن الطب والأطباء.

(2) ابن سينا، الفن الأول، التعليم، الفصل الثانى.

البحث عن الحقيقة

لما كان ابن سينا قد تربى في مطلع حياته وصباه تربية دينية استمسك فيها بالمقومات التي تحث عليها الشريعة الإسلامية السمحاء، وحفظ القرآن الكريم وأتمه، كما يقول: «وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن»[1]، فإن هذه التربية الدينية شكلت قوام عقله وتفكيره، إذ القرآن الكريم يحث الانسان على الصدق وقول الحقيقة في أي موقف كان. عرف ابن سينا هذا التوجيه الإسلامي العظيم فجعله ديدنه في العلم، ومن ثم كان شعاره «البحث عن الحقيقة واعلانها جلية واضحة حتى لو اقتضى الأمر مخالفة من تلقى على يديهم العلم»[2]. وهذا يعنى أن ابن سينا فهم جيداً أن العلم يتأسس على البحث الدؤوب، وأن الحقيقة العلمية لابد من إعلانها للآخرين لأنه لايجوز إخفاؤها حفاظاً على تقاليد أو علوم سبق أن تلقاها. وهذا التوجه من ابن سينا يتفق مع ما يذهب إليه علماء اليوم.

الموسوعية

لم يتجه العلماء العرب، والأطباء في الإسلام، إلى التمييز بشكل حاد بين صنوف المعرفة المختلفة؛ بل تداخلت لديهم صور المعرفة، تساند بعضها في منظومة فكرية رائعة تثبت تكاملها، وتقاطع بعضها مع البعض الآخر ليشير إلى وجود حدود للعلوم لابد من وضعها في الاعتبار. ومن هنا جاء اهتمام العلماء في الحضارة العربية الإسلامية بتصنيف العلوم، كما هو الحال عند الفارابى والخوارزمى وغيرهما. وترتب على هذا أن اتخذ الفكر العربى الإسلامي في كثير من توجهاته الطابع الموسوعى في التأليف والكتابة حتى في نطاق العلم الواحد. وسرى هذا الاتجاه في فكر العلماء منذ القرن الرابع الهجرى. كانت موسوعة الحاوى الطبية خير دليل على ذلك، فهى أول

(1) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، (437).

(2) على الدجوى، رواد الطب العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، (ص 31-32).

موسوعة طبية كبيرة جمعت الجوانب النظرية والعملية السريرية في الطب. وكانت تذكرة الكحالين مثالاً آخر على الجانب الموسوعى في الطب بجانبيه النظرى والتشريحى فضلاً عن العلاجى. واكتملت هذه الحلقة في القرن الخامس الهجرى بظهور القانون في الطب لابن سينا.

يتفق العلماء في الشرق والغرب على أن كتاب القانون في الطب لابن سينا يعد أكبر موسوعة طبية ألفت في العصور الوسطى قاطبة، وأن هذه الموسوعة جذبت انتباه العلماء على مر العصور، حاول بعضهم تلخيصها، وحاول البعض الآخر تبسيطها، وغيرهم حاولوا عمل شروحات عليها أو موجز لها، وحتى الموجز عملت له شروحات مثلما هو الحال في كتاب الموجز لابن النفيس الذي عملت له شروحات متعددة. لقد تأثرت الكتابات الطبية التالية بهذا الطابع، لكنها لم تستطع أن ترقى إليه، ومع هذا وجدنا بعض الأعمال ذات الطابع الموسوعى فيما بعد عصر ابن سينا تمشيا مع التقليد العلمي السينوى الذي نفذ عبر الأجيال.

لقد ترجم القانون في الطب إلى اللغة اللاتينية واللغة العبرية والعديد من اللغات الأخرى، وطغت شهرته على ما سواه من الكتابات إن في الشرق أو الغرب، نظراً لما امتاز به من منهجه التصنيفي الذي أضفى رشاقة على الجانب الموسوعى فيه.

النقد

عُد النقد مسألة مهمة وذات قيمة عالية في الكتابات العربية الإسلامية منذ فجر النهضة العلمية في العالم الإسلامي. وتحلى العلماء بخاصية النقد الموضوعى لا الذاتى، ذلك النوع من النقد الذي يبرز الروح العلمية الأصيلة للعلماء المسلمين عبر العصور. ولم يكن الهدف من النقد مجرد مخالفة القديم أو التقليل من قيمته العلمية، وإنما كان الهدف متمثلاً في إحكام الأنساق العلمية بالصورة التي تخلصها من التناقض الذي يمكن أن يفضى إلى عدم مصداقية النسق. وجدنا هذه الخاصية لدى ابن سينا ولدى

معاصره ابن الهيثم[1]: كلاهما فهم النقد وفهم وظيفته وكيفية استخدامه. وسوف نلتقي في متن القانون في الطب بالصور المتعددة للنقد التي يقدمها ابن سينا والتي يصحح من خلالها اعتقادات سادت قبل عصره لأزمنة طويلة وهى بعيدة عن الصواب[2].

التحرر العقلى

كما سبق أن أشرت كان ابن سينا أحد أقطاب السياسة في عصره، وكان منخرطاً في الحياة السياسية العامة، ونحن نعلم أن الحياة السياسية العامة حياة تقلب دائم، وأن السياسة تقتضي من المشتغل بها أن يلتقي بأناس عديدين لهم اتجاهاتهم وأفكارهم وأهواؤهم: خبر ابن سينا هذا المعترك، وتعرض لتقلبات الحياة العامة، ونهبت العسكر داره وصادروا ما بها، وزج به في السجن، وأقصي عن الحياة السياسية، ثم عاد لها. كل هذا أثر في آراء ابن سينا وفي فلسفته التي اكتسبت مسحة عملية إلى حد كبير، وكانت أميل إلى الناحية العقلية.

كان ابن سينا يحترم ملكة العقل في نفسه، ورفض أن يسلم عقله لأفلاطون وأرسطو وجالينوس، فلم يتقيد بنظرياتهم، ولم يقبل منها إلا ما اتفق مع عقله وتفكيره، وكان يرى أن الفلاسفة يصيبون ويخطئون مثلهم مثل غيرهم من الناس، وأنهم ليسوا معصومين من الزلل والخطأ، وهو ما أكده الحسن بن الهيثم أيضا في مقدمته لكتاب الشكوك على بطلميوس - وهو ما انتقل إلى فرنسيس بيكون رائد المنهج التجريبى الحديث، وهو أيضا ما أثر في ديكارت الذي رفض أن يسلم قياد عقله للتقليد- وربما كانت مثل هذه الآراء تعد في جوهرها ثورة علمية في عصرها. كان ابن سينا إذن على

---

(1) انظر في ذلك ماهر عبد القادر، الحسن بن الهيثم، الفصل الأول.

(2) ماهر عبد القادر، السياسة والثقافة في عصر ابن البيطار، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الدولية للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع مركز التراث العلمي العربي بجامعة حلب، سوريا، 2005، (ص54).

درجة عالية من الجرأة في مواجهة التقاليد اليونانية الموروثة، ولاشك أن هذا الموقف السينوى «يدل على شجاعته ونزعته للاستقلال في الرأي ورغبته في التحرر العقلي فهو لا يتقيد بآراء من سبقه، بل يبحث فيها ويدرسها ويعمل فيها العقل والمنطق والخبرات التي اكتسبها، فإن أوصلته هذه كلها إلى تلك الآراء أخذ بها، وإن أوصلته إلى غير ذلك نبذها وبين فسادها»[1]. هذه بعض المواضع التي أردت أن أبين فيها الطوق الإبستمولوجى لميثودولوجيا القانون في الطب.

مكانة كتاب القانون في الطب في الدراسات المعاصرة

إذا كان ابن سينا قد احتل مكانة علمية مرموقة في الفكر العلمي والطبي في العصور الوسطى بسبب كتاب القانون في الطب الذي صدر في خمسة كتب أساسية تحتوي على نظريات الطب والأدوية والجراحة والأمراض والأدوية المركبة ؛ فإن دراسات ابن سينا لازالت تتنامى وتتواصل في الفكر العالمي المعاصر، العلمي والطبي على السواء؛ ولازال كتاب القانون في الطب بكل ما يحتويه من بحوث ودراسات ونظريات موضع اهتمام الأطباء في شتى بقاع العالم: يتناول الأطباء النظريات التي أودعها ابن سينا كتاب القانون بالدرس والتحليل والمتابعة، لمعرفة الجوانب التي تطورت أو التي في طريقها إلى التطوير، وعلاقة كل هذا بالدراسات والبحوث الطبية المعاصرة. وفى هذا الصدد فإن زخم الدراسات المعاصرة يكشف عن جوانب الإبداع والأصالة في فكر ابن سينا، كما يكشف عن أن كتاب القانون في الطب يمثل كنزاً علمياً وافياً بكل ما تحمله الكلمة من معاني، كما يبين القيمة التي احتلها هذا الكتاب في دراسات العصور الوسطى بما جعله يمثل الكتاب الرئيس وعد أهم كتب النصوص الطبية على وجه الخصوص.

---

(1) قدري حافظ طوقان، المرجع السابق، (79-80).

وقد بينت في بحث سابق[1] كيف أن كتاب القانون الذي كان الشغل الشاغل لأوروبا منذ نقل إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادى مازال يحتل مكانة علمية مرموقة في الفكر العالمي، وكيف أنه يمثل محور التقاء بين الشرق والغرب، وأشرت إلى أحد الجوانب المهمة المتعلقة بهذا الحوار والمتمثلة في الطبعات اللاتينية والعبرية.

ولعل الغرب الحديث والمعاصر يشعر بالمكانة العلمية التي يتمتع بها ابن سينا وكتاب القانون في الطب الذي استعمل نصاً تعليمياً حتى حلول عصر الطب الحديث[2]، وقد ترتب على هذا الشعور من جانب الغرب أن بدأت مسيرة الأبحاث العلمية والطبية تنقب في جزئيات كتاب القانون ونظرياته، وحاولت تتبع هذه النظريات، ودراسة تفصيلاتها، وكيف تطورت في السياق المعاصر، وكيف نتجت عنها نظريات أخرى جديدة.

ومن ثم فإن الكشف عن الاهتمام المعاصر بدراسة ابن سينا وكتاب القانون في الطب يمكن أن نصنفه في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

الأول: دراسات ذات طابع طبي خالص وهذه الدراسات تأتي في القانون في الطب والبحوث المعاصرة وموقفها من نظريات ابن سينا وتقييمها.

الثاني: دراسات تربط بين المجالات الطبية المعاصرة ونظريات ابن سينا في القانون في الطب المتعلقة بالأخلاق الطبية، أو دراسة كبار السن، أو الأطفال أو رعايتهم وغيرها من الدراسات المتصلة بهذه الحلقة. وهذه الدراسات بطبيعتها دراسات بينية Interdisciplinary تجمع بين الجوانب الفلسفية والأخلاقية والطبية والبيئية وغيرها. وهذه الدراسات أيضاً نشأت عن النظر في علاقة العلوم ببعضها.

---

(1) ماهر عبد القادر محمد، جسر بين الثقافة العربية والثقافة الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة سعد زغلول الدولية، جامعة الإسكندرية، 2008.

(2) يوجين أ.مايرز، الفكر العربي والعالم الغربي، 1986، (ص 41).

الثالث: دراسات عن ابن سينا نفسه، وكتاب القانون في الطب، من الناحية التاريخية المجردة، مثل تلك الدراسات التي صدرت بمناسبة مرور ألف عام على ميلاد ابن سينا، أو خمسمائة عام على صدور أول طبعة عربية لكتاب القانون في الطب عن مطابع روما الحديثة. وهذه الدراسات تنصب على بيان المكانة التاريخية لصاحب كتاب القانون والكتاب ذاته.

والذي لا مراء فيه أن مثل هذه الدراسات في جوانبها الثلاثة تبين كيف أن علوم المسلمين لازالت تكتسب حيويتها وقيمتها في الفكر الأوروبي، وتكشف عن عمق الرافد العربي الإسلامي في التفكير الغربي، ومدى تأثيره بعمق في الفكر الغربي قديماً وحديثاً، وتبين إلى أي حد شكل الفكر الإسلامي، العلمي بصفة خاصة، مادة صالحة للحوار والدراسة من جانب العرب والغرب، وأن هذا الحوار كما كان قائماً في العصور الوسطى، فإنه لازال متواصلاً ينبض بالحيوية والجدة والأصالة، ويتجدد دوماً مع العلوم المعاصرة. ومن ثم نتناول فيما يلي الجوانب الثلاثة التي أشرت إليها من خلال الإشارة إلى عناوين هذه الدراسات. ولكن يبدو من الملائم أن نشير إلى هذه الدراسات من خلال اللغات التي كتبت بها لنبين جانبي الاهتمامات القومية والعالمية، ولنفهم مكانة «القانون في الطب» وأثره في الدراسات الطبية العالمية من خلال النظريات التي دونت فيه، ومكانة ابن سينا الطبيب والعالم في الدراسات المعاصرة، نلقي بعض الضوء على أهم البحوث العالمية في بعض الدوريات والاصدارات المعاصرة.

أولاً: دراسات باللغة الإنجليزية (مقالات علمية)

1- Modanlou HD. Avicenna (AD 980 to 1037) and the care of the newborn infant and breastfeeding. J Perinatol. 2008 Jan;28(1):3-6. Epub 2007 Sep 6.

2- Aciduman A, BeIen D.Hydrocephalus and its management in Avicenna's Canon of Medicine. J Neurosurg. 2007 Jun; 106(6 Suppl): 513-6.

3- Shoja MM,_Tubbs RS.The disorder of love in the Canon of Avicenna (A.D. 980-1037).Am J Psychiatry. 2007 Feb; 164(2): 228-9.

4- Urquhart J. How Islam changed medicine: Ibn Sina (Avicenna) saw medicine and surgery as one.BMJ. 2006 Jan 14; 332(7533):120.

5- Bela Z.Who invented 'Avicenna's gilded pills'? Early Science Medival. 2006; 11(1):1-10.

6- Aciduman A Belen D Simsek S., Management of spinal disorders and trauma in Avicenna's Canon of medicine. Neurosurgery. 2006 Aug; 59(2):397-403; discussion 397-403.

7- Haddad FS. Ibn Sina (Avicenna) advocated orotracheal intubation 1000 years ago-documentation of Arabic and Latin originals. Middle East J Anesthesiol. 2003 Jun; 17(2):155-62.

8- Naderi S, Acar F, Mertol T. Arda MN. Functional anatomy of the spine by Avicenina in his eleventh century treatise Al-Qanun fi al-Tibb (The Canons of Medicine).Neurosurgery. 2003 Jun; 52(6): 1449-53; discussion 1453-4.

9- Sarratzadeh AS, Sarafian N, von Gladiss A, Unterberg AW, anksch WR. Ibn Sina (Avicenna). Historical note. Neurosurg Focus. 2001 Aug 15; 11(2)

10- Aziz F., Nathan B, McKeever.J. Anesthetic and analgesic practices in Avicenna's Canon of Medicine. Am J Chin Med. 2002; 2g(1); 147_51.

11- Hetland T. [From Avicenna to family practice] Tidsskr Nor Laegeforen. 1997 Jan 10; 117(1): 86-7. II: 12

12- Nathan B, Wray R., On the causes of collapse and sudden death by Avicenna. Int J Clin Pract. 1997 Jun; 51(4). 245_5

13- Husain SA. Bull Indian Inst Hist Med Hyderabad. 1997 Jan; 27(1): 47-52.

14- Dunn PM. Avicenna (AD 980-1037) and Arabic perinatal medicine. Arch Dis Child Fetal Neonatal Ed. 1997 Ju1; 77(1): F75-6.

15- E1-Uammal SY. Avicenna's contribution to the development and progress of medical sciences. Bull Indian Inst Hist Med Hyderabad. 1994 Jan; 24(1): 15-27.

16- Ali MI. Avicenna's approach to cardiac diseases. Bull Indian Inst Hist Med Hyderabad. 1993 Jul; 23(2): 13741.

17- Ahmad J, Farooqui AH. Some controversial drugs from Avicenna's Canon of medicine-an appraisal. Hamdard Med. 1991 Jul Sep; 34(3): 81-7.

18- Nathan B., Mikhail M. Relat Avicenna's recipe for contraception. Br J Obstet Gynaecol. 1991 Dec; 98(12): 1303.

19- Howell TH. Avicenna and his regimen of old age. Age Ageing. 1987 Jan;l6(1):58-9.

20- Richler B., Manuscripts of Avicenna's Kanon in Hebrew translation: a revised and up-to-date list. Korot. 1982 Aug: 8 (3-4) 145-68.

21- Smith RD.Tribute to Avicenna: one thousand years of the art of preserving health.J Kans Med Soc. 1981 Jul;82(7): 359-60, 372.

22- Nurhussein MA. Rhazes and Avicenna. Ann Intern Med. 19&9 Oct 15; 111(8): 691-2.

23- Rasheed BM. Avicenna's influence on European medicine. Bull Indian Inst Hist Med Hyderabad. 1981; 1-4: 99-102.

24- Smith RD. Avicenna and the Canon of Medicine: a millennial tribute. West J Med. 1980 Oct; 133(4): 367-70.

25- Eltorai I., Avicenna's view on cancer from his Canon. Am J Chin Med. 1979 Autumn; 7(3):276- 84

26- Shub MB. Avicenna. S Afr Med J. 1972 Jun 19; 45(24): 675-6. 2-4.

27- SMITH FR Jr. MORE ON AVICENNA AND SHIRAZ. Clin Pediatr (Phila). 1964 Aug; 3: 508.

28- GRUNER OC. Avicenna's Canon of Medicine and its modern Unani counterpart. Med Bull (Ann Arbor). 1956 Jun; 22(6): 239-48.

29- PETROV BD. [Avicenna's Canon on child health; 1000th anniversary of Avicenna's birth]. Pediatriia. 1952 Aug-Sep; 10(5): 63-7.

ثانيا دراسات ومقالات علمية باللغة الفرنسية

30- Franzin-Garrec M. [Avicenna, prince of scholars] Soins. 2003 May; Spec No 2:21-2.

31- Kottek SS. [The Hebrew manuscript of Avicenna's Canon] Med Secoli. 1996; 8(1): 13-29.

32- Benziane K. [Avicenna, physician and philosopher] Rev Prat. 1995 Oct 15; 45(16): 2002-6.

33- Hijazi AR. [Anesthesia in the works of Avicenna and anesthetic technics during the 11 th century] Ann Fr Anesth Reanim. 1984; 3(1): 76-8.

34- Ammar S. [Avicenna's contribution to medicine] Tunis Med. 1980 Jul-Aug; 58(4): 548-51.

35- Ammar S. [Avicenna the psychosomatist] Tunis Med. 1980 Jul-Aug; 58 (4): 552-3.

36- Ainmar S [Avicenna's writings] Tunis Med. 1980 Jul-Aug; 58(4): 543.

37- Aroua A. [Hygiene and prevention in Avicenna] Tunis Med. 1980 Jul-Aug; 58(4): 556-61.

38- Ammar S. [Avicenna: the Master par excellence] Tunis Med. 1980 Jul-Aug; 58(4): 544-7.

39- Ammar S. [Avicenna's maxims and quotations] Tunis Med. 1980 Jul-Aug;58(4): 554-5.

40- Kataye S. [Facial paralysis as described by Avicenna] Ann Otolaryngol Chir Cervicofac. 1975 Jan-Feb; 92(1-2): 7982.

ثالثا: دراسات ومقالات علمية باللغة الايطالية

41- Messini M. Messini R. [Gentile da Foligno and his Commentary on the Canon of Avicenna concerning anatomy, clinical medicine and therapy of liver diseases] Epatologia. 1968 May-Jun; 14(3): 195-228.

رابعا: دراسات ومقالات علمية باللغة البولندية

42- Kucharz E. [Avicenna (Abu Ali Ibn Sina) - his life and medical activities] Wiad Lek. 1981 Aug 15; 34(16): 1405-9.

43- WIKTOR Z. [Avicenna's Canon.] Pol Tyg Lek (Wars). I953 Jul 6; 8(27): 966-7;

44- WIKTOR Z. [Avicenna's Canon.] Pol Tyg Lek (Wars). 1953 Jun 15; 8(24): 870-2;

45- WIKTOR A. [Avicenna's Canon.] Pol Tyg Lek (Wars). 1953 Jun 29; 8(26): 933-5;

خامسا: دراسات ومقالات علمية باللغة الألمانية

46- Stolber.g. M. [Teachings of "calor innatus" in the Latin Canon medicinae of Avicenna] Sudhoffs Arch. 1993; 77(l): 33-53.

47- Riha O. [From the 'canon' of Avicenna to the illustration of the 'wound healer'] Sudhoffs Arch. 1989; 73(1): 45-54.

48- Heckh H. [Medicine from "Thousand and one Nights"] Med Monatsschr. 1969 May; 23 (5): 226-30.

سادسا: دراسات ومقالات علمية باللغة المجرية

49- Egri B. [The Arabic triad (Hunain ibn Ishak, Rhazes, Avicenna)] Orv Hetil. 1981 Jun 28; 122(26): 1595-600.

50- Toth A.[An Avicenna volume in the Helikon Library of Keszthely. Venetian publication, 1564] Orv Hetil. 1980 Dec 28; 121(52): 32.I2-3.

51- Egri B. [An Eastern genius. Remembering Avicenna on the 1 000th anniversary of his birth] Orv Hetil. 1980 Dec 28; 121(52): 3207-i 2.

52- Schultheisz E.[Avicenna and the roots of psychosomatic medicine]. Orv Hetil. 1980 Dec 28; 121(52): 3171-3.

سابعا: دراسات ومقالات علمية باللغة التشكيلية

53- Becka J. [The father of medicine, Avicenna, in our science and culture. Abu Ali ibn Sina (9801037)] Cas Lek Cesk. 1980 Jan 5;119(1):17-23.

ثامنا: دراسات ومقالات علمية باللغة السويدية

54- LUNDBERG U. [On exercise and a regimen of exercise drill after Avicenna's "Canon Medicine".] Sven Lakartidn. 1962 Apr 26; 59: 1328-40.

تاسعا: دراسات ومقالات علمية باللغة الكرواتية

55- Masic I Ridanovic Z [Avicenna--a great physician and thinker] Med Arh. 1993;47(1-2): 43-6.

عاشرا: دراسات ومقالات علمية باللغة الصينية

56- Hong M, Chen JX.s [Clarification of relationship between the pulsefeeling in Avicenna's Canon of Medicine and tradition Chinese Medicine.] Zhonghua Yi Shi Za Zhi. 2005 Jul; 35 (3): 183-6.

حادى عشر: دراسات ومقالات علمية باللغة الروسية

57- Kasymov AI [Bioethics and elderly people in Avicenna's papers] Lik Sprava. 2006 Jul-Sep; (5-6): 109-1 1.

58- Belov. SI, [Views of Ibn Sina (Avicenna) on-health] Gig Sanit. 1991 Apr; (4): 72-4.

59- Kakhorov GK. [Hygiene views of Avicenna] Feldsher Akush. 1984 Feb; 49(2): 52.

60- Kuz'min MK, Bukharov PL.[Ibn-Sina (Avicenna) and folk medicine]Feldsher Akush. 1981; 46(3): 50-2.

61- Petrov BD. [Medical heritage of In Sina (Avicenna) (on the 1000th anniversary of his birth)]Klin Med (Mosk). 1981 Jan;59(1):7-12.

62- Pulatov AM. [Abu AIi Ibn-Sina (Avicenna) and his scientific and medical legacy] Vrach Delo. 1980 Sep;(9):1-6.

63- Gribanov_ ED. Chullcina EL[Ibn-Sina Avicenna): on the millennium of his birth] Feldsher Akush. 1980; 45(1): 54-7.

64- Petrov BD. [Ibn-Sina: Avicenna (on the millenium of his birth)] Med Sestra. 1980 Aug; 39(8): 45-51.

65- Vakhidov W. [1,OOOth anniversary of the birth of Avicenna]Khirurgiia (Mosk). 1980 Jul; (7): 110-4.

66- Petrov BD.[Problems of public health in the "Canon" of Ibn-Sina (on the millenium of his birth)] Gig Sanit. 1980 May; (5): 22-5.

67- Katsenovich RA_ Mirzaey NL. [Cardiological legacy of Abu Ali Ibn-Sina (on the millenium of his birth)] Kardiologiia. 1980 Nov; 20(11): 120-2.

68- Pulatov AT., [Abu Ali Ibn-Sina (Avicenna), on the millennium of his birth] Vestn Khir Im I I Grek. 1980 Jan; l24(1): 142-6.

69- Arzumetov IuS. [Avicenna--physician-encyclopedist and certain principles of his teachings concerning health and disease (on the 1000th anniversary of his birth)] Fiziol Zh SSSR Im I M Sechenova. 1980 Sep; 66(9): 1273-7.

70- Musaev TM.[Views of Abu Ali Ibn Sina (Avicenna) on tumorous diseases] Vopr Onkol. 1980; 26(9): 72-4.

71- Mukhitdinov BN. [Ethical principles of Abu Ali Ibn-Sina (Avicenna) and the problems of modern deontology (on the millenium of his birth)] Vestn Rentgenol Radiol. 1980 May-Jun; (3): 80-2.

72- Iskhaki IuB, Kal'shtein LI. [Role of Avicenna in the development of otolaryngology] Vestn Otorinolaringol. 1980 Nov-Dec;(6):81-5.

73- Arzumetov `TuS. [Topics of hepatology in the "Canon of Medical Science" of Ibn-Sina] Sov Zdravookhr. 1980; (5): 67-9.

74- Mukhtarov AM,.Bolgarskii IS. [Problems of urology in the works of Abu AIi Ibn-Sina] Urol Nefrol (Mosk). 1980 Nov-Dec; (6): 52-5.

75- Belolapotkova AV. [Stomatologic subjects in the "Canon of Medical Science" of Avicenna] stomatologua (Mosk). 1980 Nov-Dec; 59(6): 69-70.

76- Denisenko PP, Nuraliev IuN. [Abu Ali Ibn-Sina and pharmacology; on the millennium of the birth of Avicenna]Farmakol Toksikol. 1980 Nov-Dec; 43(6): 753-4.

77- Usmanova RA. [Avicenna on the musculoskeletal system] Arkh Anat Gistol Embriol. 1980 Sep; 79(9): 112-4.

78- Petrov BD. [The medical legacy of Ibn-Sina] Sov Zdravookhr. 1980; (9): 53-6.

79- Mansursov KhKh. [Medical inheritance of Avicenna and current clinical medicine] Ter Arkh. 1980; 52(1I): 149-51.

80- Nuralev IuN. [Abu Ali Ibn-Sina and medical ethics]Min Med (Mosk). 1980 Oct; 58(10): 112-4.

81- Atabaev Sh T , Babakhodzhaev NK , Il'inskii II. [Hygienic views of Abu Ali ibn-Sina (on the millenium of his birth)] Gig Sanit. 1979 Dec; (12): 36-40.

82- Petrov BD. [Diagnosis in the system of medical views of Ibn Sina] Klin Med (Mosk). 1979 Dec; 57(12): 91-6.

83- Pitskhelauri GZ. [Abu Ali Ibn-Sina and his "Canon of Medical Science" (on the 500th anniversary of the publication of the 1st printed edition of the "Canon")] Sov Zdravookhr. 1973; 32(12): 73-5.

إن ما قدمته في هذه الدراسة إنما يبين إلى أي حد أثر كتاب القانون في الطب، وهو أحد الكتابات الإسلامية العلمية تأثيرا بالغا في الغرب الوسيط ولا زال تأثيره يتنامى في العصر الراهن بين الأطباء في الغرب، وهذا دليل على حيوية علوم المسلمين وأهمية الإسهام الإسلامي في مسيرة الحضارة الإنسانية. وربما كشفت لنا الترجمات المختلفة عن عمق تأثير كتاب القانون في الطب لابن سينا في الثقافات الشرقية والغربية، في تواصل وبدون انقطاع.